مقالاتي في مجلة



بقلم:

مسعود فلوسي

1- **حاجتنا إلى إعلام إسلامي فاعل**، العدد 4، جمادى الثانية – رجب 1412هـ/ نوفمبر – ديسمبر 1991م، الصفحات: 4-8.
2- **التواصل الاجتماعي البعد المفقود في منظومتنا الثقافية**، العدد 5، شعبان – رمضان 1412هـ/ جانفي – فيفري 1992م، الصفحات: 4-8.
3- **حتى لا يكون لليأس مكان في حياتنا**، العدد 7، رمضان 1413هـ/ فيفري – مارس 1993م، الصفحات: 4-9.
4- **نظرات في كتاب "أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية"** للدكتور زغلول راغب النجار، العدد 8، ذو القعدة 1413هـ/ أفريل – ماي 1993م، الصفحات: 74-79.
5- **الذين تخلوا عن دينهم فتخلى الله عنهم**، العدد 9، ربيع الأول 1414هـ/ سبتمبر – أكتوبر 1993م، الصفحات: 4-10.



مجلة "الرواسي" مجلة تربوية ثقافية فكرية، أصدرتها جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، التي تأسست واعتُمدت ونشطت على مستوى مدينة باتنة خلال التسعينات من القرن الماضي، وقد صدر من هذه المجلة 13 عددا، حيث ظهر أولها في شهر رجب 1411هـ، الموافق جانفي 1991، وآخرها في شهر ذو القعدة 1416هـ، الموافق أفريل 1996م. وقد نشرت المجلة مقالات فكرية للعديد من الكتاب الجزائريين والعرب، كما نشرت العديد من البحوث التربوية التي كانت تلقى في الملتقيات التي نظمتها الجمعية في تلك المرحلة. وقد أصدرت الجمعية أعمال بعض هذه الملتقيات في كتب مفردة بلغ عددها خمسة كتب.

كانت هذه المجلة تجربة ثقافية فريدة لم يُتح لها الاستمرار، كحال الكثير من المشاريع الثقافية في بلادنا التي ما إن تظهر حتى تختفي.

نشرتُ في المجلة خمسة مقالات، هي هذه التي يجدها القارئ في هذا المجموع.

حاجتنا إلى إعلام إسلامي فاعل

بقلم / مسعود فلوسى

الحديث عن إعلام إسلامي ، أضحى اليوم حديثا عن فريضة غائبة لم تجد من يقوم بها ولا من يؤديها و يسقط فرضيتها الكفائية عن سائر المسلمين ، فيما عدا بعض المحاولات النادرة القاصرة التي لم تستطع أن تقف أمام موجات التيارات الاعلامية العالمية العاتية ولوللحظة واحدة ... ذلك أن الاعلام اليوم أصبح يؤدي دورالريادة و القيادة في الحياة الثقافية و الاجتماعية لجميع الناس - دون استثناء - و أصبح يساهم بفعالية بالغة في التدخل في بلورة خصائصهم النفسية و تشكيل قناعاتهم العقيدية ، و إعادة بنائها وفق مايخطط له صاحب الخطاب الإعلامي الأقوى ، و العرض الأكثر تأثيرا .

لقد استطاع الإعلام ـ اليوم ـ أن يفتك التأثير من كل الوسائل التي كان لها دورها الفعال في حياة الأمم والشعوب و الدول ، فلم يعد الآباء قادرين على التحكم في تربية ابنائهم ، ولم يعد يمكنهم أن يساهموا في توجيههم و تشكيل قناعاتهم و سلوكاتهم في الحياة ، كما استطاع أن يَفْتَكَّ قوة التأثير من تلك الأسلحة الفتاكة التي كانت تدمر شعوبا بأكملها ، فهو ـ اليوم ـ يستطيع بفعل الحروب النفسية و الدعائية التي يقوم بها أن يسقط عروشا و حكومات و أن يحطم أمما و شعوبا بأسرها دون الحاجة إلى استخدام المدافع أو القنابل أو الطائرات .

اعلام بديل أو الكارثة

إذا تأكد لدينا هذا الذي قدمناه عن دور الاعلام و مكانته ، عرفنا أن هذا العنوان الذي صدرنا به هذه الفقرة ليس مقصودا منه الاستفزازفي شئ و لا الإثارة أو التشويق بالمرة ، فهو نضج الحقيقة الواقعية السائدة ، بل أنه لا يستطيع أن يدعي أن بإمكانه وصف الحقيقة كما هي ، فهي أضخم من أن يصفها عنوان أو يحيط بها مقال مهما طال . إن واقع المؤسسات الاعلامية في بلادنا ليدل دلالة قاطعة على مدى ماأحدثه التعفن الفكري و الثقافي في نفوس القائمين عليها ، حتى أصبحوا معاول هدم وإفساد للمجتمع و أخلاق أبنائه ، ولم يعد خافيا مايحمله هؤلاء من حقد على عقيدة الأمة و تراثها الزاخر ، فهم خدم للاستدمار و التغريب ، ولا يتوانون أبدا عن التمكين لأهدافه و القيام بها بدلا عنه و كفايته في تخريب حياة المسلمين و تدمير أخلاقهم و القضاء على بقايا الحياء و الحشمة في نفوس أبنائهم ، وليس هناك مايمكن أن يقوم دليلا صادقا على صحة مانقول كواقعنا الاعلامي نفسه ، فالتلفزيون ـ الذي هو الوسيلة الاعلامية الأقوى فتكا و الأكثر تأثيرا ـ لايكاد يعرض في برامجه مما يتصل بثقافة الأمة وعقيدتها و رسالتها إلا النزر اليسيرالنادر ، و الباقي كله عبارة عن برامج غربية أو عربية متغربة ، تؤدي دورها المطلوب بكل عناية و اجتهاد و اقتدار ، و قد ساهمت ـ و الواقع خير دليل على مانقول ـ في إفساد شباب الأمة و توجيههم نحو الاهتمام بالبرامج الفارغة ، حيث لم يعد أكثرهم يتحدث عن شيء غير (بلاد ميوزيك) و مايماثلها من البرامج الساقطة التي لاهم لها إلا أن تتحدى إرادة الامة و تفرض عليها مالاتريد رؤيته من حصص و برامج ، وأذكرأني حين كنت في المرحلتين المتوسطة و الثانوية ، كانت من الفتيات اللائى كن يدرسن معي من يحفظن الكثير من حياة الفنانين المصريين و الغربيين و أعمالهم الفنية وعناوين أفلامهم و مسرحياتهم و مغامراتهم ، في حين كن لايعرفن عن أبطال الأمة و رجالها الأفذاذ شيئا يذكر .

ثم إذا توجهنا إلى واقع الجرائد و الصحف اليومية منها و الأسبوعية ، وحاولنا تقصي أمرها ، فإننا نجد أن أغلب الجرائد الذائعة و الأكثر قراءة . هي الجرائد المكتوبة بالفرنسية ، أما العربية فهي تعاني من كساد خانق ، ربما أدى ببعضها إلى التوقف عن الصدور ـ نتيجة الخسارة ـ بعد حين .

أما عن نوادي الفيديو و أشرطة الكاسيت ، فحدث عنها ولاحرج ، فهي قد أصبحت أوكار التسويق مايسمونه بالثقافة الجنسية و إشاعتها بين الشباب ، ولم يعد بالامكان التغاضي عن ذلك في شيء . و حسبنا لكي نعرف مدى ماأحدثه الاعلام في حياتنا من تأثير ، أن كثيرا من الناس قد أصبحوا و كأنهم ليسوا هم أولئك الذين كنا نعرفهم من قبل ، فقد تغيرت سلوكاتهم و طرق معاملاتهم ، بل سقطت البقية الباقية من الحياء و الاحترام المتبادل من معاملاتهم ، و أصبح الابن لايتورع من ارتكاب مايخل بالحياء في حضرة والديه ، معتقدا أن ذلك دليل التقدم و الانفتاح ، والتحرر من أسر

العادات و التقاليد و قيودها البالية في زعمه ، كما انتشرت مظاهر (الحيوانية) المتجلية في تربية الكلاب و اصطحابها في كل مكان ، حتى أصبحت أفضل و أعز من البشر عند كثير من أصحابها ، ولاعجب ، فذلك بعض مظاهرتأثير وسائل الاعلام وفعلها الخبيث في حياة الناس .

لقد كان مفروضا في وسائل الاعلام أن تمارس دورها التربوي المطلوب في الحياة ، فتشكل توجهات الناس و قناعاتهم فيما يخدم الأمة و يعود عليها وعلى أبنائها بالخير و السداد ، ولكن الذي حصل كان غير ذلك مما أدى إلى إفراز ماسبق أن أشرنا إليه من آفات . و الواقع أنه ليس كل هذا وحده مما يميز واقعنا الاعلامي ، بل إن أولئك الذين سبق أن أشرنا إلى مايقومون به من دور لصالح الاستدمار ، مصرون على استهلاك كل مايأتيهم من الغرب و فرضه على الأمة فرضا ، مصرون على سيطرتهم على مراكز المعلومات و الإعلام من تحضير النآس و تشكيل ذهنياتهم على أوضاع تُهيِّئهم لقبول كل ما يُبثُّ إليهم من معلومات دون البحث في مدى صدقها أو كذبها ، بل دون أن يتركوا لهم الفرصة في قبولها أو ردها ، ولفحصها و اختبارها ، إضافة إلى ماساهموا به في طمس الطاقات الاعلامية المبدعة ذات المبادئ السامية و الحيلولة بينها و بين إفادة الناس و توجيههم لما فيه الخير و الصلاح .

بعد كل هذا ، هل يبقى من أمل نعلقه على هذه المؤسسات في أن تتحول في يوم من الأيام إلى مراكز للإفادة و حسن التوجيه ؟!!... الحقيقة : أن كل الملابسات و الملاحظات تدل على أن ذلك مجرد وهم كاذب و أمل خادع فقط ، و إلا فإن هذه المراكز لا ولن تكون مراكز للإفادة مادام فيها أمثال هؤلاء ، و مادامت متصلة بمراكز القرار والتوجيه . وكل هذا الذي سبق و أن قدمناه ، يبرز - ولاشك - حاجتنا إلى إعلام بديل يعيد بناء ماقد سبق لسابقه أن هدمه و خربه . و إلا فإننا ننذر بكارثة مروعة لاتبقي ولاتذر في عقيدة الأمة و أخلاق شبابها ومسيرتها في التاريخ .

الاعلام الاسلامي ضرورة

و الاعلام الذي ندعوإليه ، هو - بلا ريب - ذلك الاعلام الذي يتخذ من عقيدة الامة و ثوابتها الراسخة منطلقا أساسيا في إعداد البرامج و بث الأخبار و توجيه الحصص و الأنشطة الاعلامية المختلفة وجهة تخدم الامة و تعرفها بدينها ورجالها وترسخ فيها التحرر من التبعية و إباء الخنوع و الذلة و الضيم . فلقد أصبحت الحاجة اليوم إلى الاعلام الاسلامي أكثر من ملحة ، وأصبحت فعاليته أكثر من ضرورة ، حيث أن الزور قد كثر ، والصدق قد قل ، وأعداء الاسلام قد نشطوا في حملاتهم قصد تشويهه و مطاردة دعاته وملاحقتهم بالاشاعات و الأكاذيب حتى تستأصل حبهم من قلوب الناس و تشوه صورهم في نفوسهم فيسهل على أعداء الاسلام بعد ذلك استئصالهم و القضاء عليهم ، ومن أجل ذلك لابد للدعوة الاسلامية أن تجهز لنفسها قنوات إعلامية تستطيع من خلالها أن ترد على حملات التشويه و الافتراء عليها ، وأن تساهم في بث مبادئها و عقيدتها في حياة الناس و معاملاتهم. وحتى لايلتبس الامر على بعض الناس ، فإننا نسارع إلى توضيح مانعنيه بالاعلام الاسلامي ، فلسنا نقصد - هنا - مايُعرف اليوم بالاعلام الديني ، و الذي يتمثل في خطب المساجد و الصفحات الدينية في الجرائد و الكتب و المطبوعات و البرامج الدينية والاذاعية و التلفزيونية و المسلسلات و الأفلام الروائية الدينية ، فهذه الامور كلها جزء بسيط عما يقوم به الاعلام الاسلامي من أعمال ، و هي لاتمثل الوجه الحقيقي له في الواقع ، لأن أغلبها يؤدي في

كثير من الأحيان إلى نتائج عكسية ، إذ كيف يتسنى لمشاهد أن يتتبع برنامجا دينيا في التلفزيون إذا كانت مقدمته امرأة متبرجة أو رجل تبدو عليه مظاهر التغريب و سمات الانحلال ، ولكن مع ذلك لايمكن إهمال كل هذه الوسائل ، فكثير منها يكون نافعا و مفيدا و مؤديا لبعض مايُطلب أداؤه من دور إعلامي إسلامي .

إنما الذي نقصده من مصطلح (الاعلام الاسلامي) هو ذلك الاعلام الذي تسري فيه الروح الاسلامية كمبدأ و كمنهاج ، تصوغ توجهاته و تحرك وسائله و أدواته ، و لايهم بعد ذلك نوع العمل الاعلامي ، مقروءا كان أو مسموعا أو مرئيا.

الطريق إلى الاعلام الاسلامي

هذا ، و إن الوصول إلى الاعلام الاسلامي بالمعنى الذي أوضحناه ، لابد له من عمل دؤوب وجهد جاد متواصل في ميادين عديدة ، فصلها الدكتور عبد القادر طاش في بحثه (إضاءات حول الاعلام الاسلامي) المنشور ضمن كتاب الامة رقم (28) و الذي يحمل عنوان : (مقالات في الدعوة والاعلام الاسلامي) نلخصها فيمايلي :

1. ميدان الإعداد و التأهيل البشري : و ذلك بإعداد الكفايات البشرية المتخصصة في الاعلام ، وتأهيلها فكريا و خلقيا و عمليا ومهنيا . وذلك ليس بالامر السهل القليل التكاليف ، بل هو عمل كبير يتطلب جهودا عظيمة و طاقات ضخمة . ولابد لإعداد الإعلامي المسلم و تأهيله من أن يتكامل المنهج العلمي و العملي في الجوانب التالية :

أ . الإعداد الأصولي و الفكري : بتعريفه بالأصول العقدية و الفكرية و التشريعية للإسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم و التوحيد و التفسير والحديث و الفقه و الثقافة الاسلامية .

ب . الاعداد اللغوي و التذوقي : بتدريبه بعض المقررات في اللغة نحوا و صرفا و فقها ، وأن يسعى إلى التمكن من فنون القول و البيان و التعبير والأسلوب و التذوق الأدبي .

جـ . الاعداد التخصصي و المهني : الذي لابد أن يتكامل فيه الجانب النظري و الجانب العملي التطبيقي ، ولابد من اكتساب الطالب للمهارات العلمية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسة الميدانية .

د . الاعداد الثقافي العام : وهذا يتطلب الإلمام بالواقع الذي يعيش فيه ، من حيث قضاياه ومشكلاته و أحداثه و تياراته ، كما يتطلب الالمام ببعض المعارف و العلوم المعينة له على فهم هذا الواقع و تحليله ، وهي علوم وثيقة الصلة بالاعلام ، كعلم النفس و الاجتماع ، والعلوم السياسية و الاقتصادية واللغة الاجنبية .

2 . ميدان التأصيل و التنظير العلمي : و ذلك بإنشاء المعاهد و مراكز البحوث الاعلامية و دعمها حتى تؤدي ماهو داخل في اهتماماتها بالاعلام الاسلامي ، واستقطاب الباحثين و الدارسين الذين يتميزون بالاخلاص و الوعي الاسلامي و الخلفية الشرعية و الاستيعاب العلمي للتخصص الاعلامي ، إلى جانب تمتعهم بالمنهجية في التفكير ، والتمكن من أساليب البحث العلمي ووسائله .

ولابد أن نسير الجهود وفق خطة مدروسة ، معتمدة على أسلوب العمل الجماعي ، ومدعمة بإمكانات مادية و بشرية ملائمة .

3. ميدان الاصلاح الواقعي : بالاسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الاعلامية القائمة وترشيد مسارها الاعلامي ، بالنصح أو الدعم أو المشاركة العملية ، ويبدأ ذلك بمحاولة إيجاد قنوات تواصل و تعاون بين المهتمين بشؤون الدعوة والاعلام الاسلامي من جهة ، وبين العاملين في المجال

الاعلامي من جهة أخرى ، من أجل تضييق الفجوة بينهم .

4. ميدان الانتاج العلمي المتميز : و لابد لذلك من المبادرة إلى إنشاء مؤسسات و شركات إسلامية للإنتاج و التوزيع الاعلامي في مختلف المجالات من طباعة ، وصحافة ونشر ، وتلفزيون ، وفيديو ، وتسجيلات صوتية ، وشرائح مصورة ، و أفلام سينمائية ، وغيرها . وإنشاء مثل هذه المؤسسات يتطلب طاقات بشرية عديدة ، ويتطلب تكاليف مادية و مالية باهضة ، ولكن الاستثمار في هذا النوع من الانتاج سيحقق مكاسب مادية و معنوية لانظير لها .

ورغم أن صياغة الاعلام . نظريا وتطبيقيا . ليست مشروعا سهل التنفيذ ، إلا أنه لاينبغي أن يصيبنا اليأس أو الاحباط بسبب ضخامة التكاليف المعنوية و المادية ، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعا قويا لنا لنروي الأمل المتفتح في قلوبنا وواقعنا بماء الاخلاص ، و العزيمة الصادقة ، والتخطيط المدروس ، والعمل الجاد ، والسعي الدؤوب المتواصل حتى يُثمر الامل ويتحقق الحلم .

[انتهى التلخيص] .

مطلوب من الاعلام الاسلامي . إذن . أن يتحرك و يفعل فعله في الواقع ، وأن يُسارع إلى القيام بدوره في إعادة صياغة الشخصية المسلمة من جديد ، ويكون ذلك حافزا لها على العودة بالأمة إلى دورها الرسالي و مكانتها الحضارية .

■

التواصل الإجتماعي ...

... البُعْدُ المفقود في منظومتنا الثقافية

بقلم / مسعود فلوسي

في اي مجتمع متحضر تحظى العلاقات الإنسانية بالقسط الأكبر من العناية، وتنال غاية الإهتمام؛ خاصة عند التخطيط لتنفيذ أي عمل اجتماعي يكون له تاثيره في واقع المجتمع وشرائحه المختلفة . وذلك لكون العلاقات الإنسانية هي المؤشر الدقيق الذي يقيس درجة تماسك افراد المجتمع وترابط قطاعاته وشرائحه المختلفة، وهي ايضا المرآة التي تعكس جوانب الضعف في المجتمع إذا ما تعرضت شبكة هذه العلاقات للتمزق والإنفصام . اما في المجتمعات المتخلفة والتي تعاني الفشل والإنهيار على جميع المستويات، فإن العلاقات الإنسانية فيها هي آخر ما يمكن ان يوضع في الحسبان أو يلقى الإهتمام، بل إنها كثيرا ما تكون هدفا لبرامج ومشاريع يراد من ورائها تمزيقها وتخريبها عن قصد أو غير قصد، الأمر الذي يؤدي إلى إنفصام هذه العلاقات حتى تصل في بعض الأحيان إلى درجة لا يعرف فيها الأخ أخاه ولا الإبن أباه ... ثم إن المظهر الأهم الذي يجلي بدقة سلامة هذه الشبكة وتوطيد هذه العلاقات، أو تمزق تلك الشبكة وانفصام تلك العلاقات؛ هو ما يمكن ان نسميه (التواصل الإجتماعي) الذي نقصد من ورائه التعبير عن شدّة التماسك بين أفراد المجتمع؛ بحيث لا يكون لأي مؤثر مهما كانت شدته اي اثر في هذا التماسك، ونعني به إضافة إلى ذلك التنسيق الدقيق والتناسق الدائم بين نظم المجتمع المختلفة التي بيدها تسديد مسيرته وتوجيه حركته، لتعبر في النهاية عن خصيصة ثابتة لمجتمع متحضر تسوده (اخلاق حضارة) .

أزمة ثقافية شاملة

إن هذا التواصل هو ما نفتقده في حياتنا الثقافية الحاضرة (على اعتبار أن الثقافة هي أسلوب حياة؛ أي الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه إلى فلاحيه . كما يقول مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة / ص 138).. فنحن نعيش أزمة ثقافية خانقة كان من أبرز إفرازاتها غياب هذه القيمة الحضارية الرفيعة التي تعبر أصدق تعبير عن درجة الوعي الإجتماعي والرقي الحضاري، وبغيابها عن حياتنا الإجتماعية غابت معها أسمى معاني الرحمة والإخاء والإيثار والوفاء بالعهد ولين الجانب والصدق والورع والتقوى وغيرها من الأخلاق الإجتماعية والفردية التي جعلها الإسلام من شروط الصلاح والفلاح والخيرية في الإنسان . ولا شك أن مجتمعا تغيب من معاملات أفراده كل القيم والأعراف الخيرة الجميلة هو مجتمع أقرب إلى الحيوانية منه إلى الإنسانية، وهو مجتمع تسوده (علاقات الإفتراس) و (علاقات التنافس) أكثر من غيرها من أنواع العلاقات، وهي تعبّر بجلاء عن مدى التردي القيمي والأخلاقي الذي يقع فيه طرفاها، والذي يجعل من كل واحد منهما وحشاً كاسِراً هَمُّهُ الوحيد الإنقضاض على الطرف الثاني والقضاء عليه بأية وسيلة ممكنة . وقد ابتلى مجتمعنا بظاهرة مميزة تمثلت في بروز كل إفرازات تراكمات متوالية من مختلف مظاهر التمزق الإجتماعي التي ورثنا خلفياتها عن قرون التخلف والإنحطاط الثقافي ثم الإستدمار الحضاري الشامل بعد ذلك . وتمثلت هذه الإفرازات في ظهور (ما نشاهده – اليوم – من مظاهر الأقصاء والإلغاء للآخرين من طرف من بأيديهم مقاليد الأمور، وكذا ما يحدث من أنواع التدمير الذاتي التي يشهدها مجتمعنا والتي جعل أبناؤه من أنفسهم أدوات لها، دون التفكير فيما قد ينجر عن ذلك من إفناء للذات الإجتماعية واستنزاف متواصل لطاقاتها وجهود المخلصين من أبنائها .

إن (لاَ شُعُورَ) الكثيرين يختزن شحنة هائلة من الأفكار السيئة تجاه المجتمع؛ فهو يتمنى له الخراب والدمار، لأنه لم يستطع إشباع رغباته والحصول على متطلباته في ظله . وإن (صُدُورَ) الكثيرين لتنوء بأحمال ثقيلة من الحقد والبغضاء والكراهية لأشياء كثيرة وجهات عديدة يجهلون هويتها ونوعها، وكل هذه المكبوتات والمشاعر الخطيرة يتحينون الفرص السانحة للتنفيس عنها وبعنف مبالغ فيه كثيرا ، دون أن نعلم جميعا أننا نحطم أنفسنا ونثير ضحك أعدائنا المتربصين بنا علينا، فقد كفيناهم شرَّ حربنا بما نفعله نحن في أنفسنا وضد بعضنا .

ويمكن أن نلاحظ صورة مصغرة لغياب القيمة الحضارية الرفيعة (التواصل الإجتماعي) عند كل مناسبة تقبل علينا؛ حيث ترتفع أسعار الملابس والموادّ الغذائية بنسب خيالية تفوق حدود المعقول؛ حتى يبدو الأمر وكأنه عملية انتقام يعلنها التجار ضد الشرائح الأخرى للمجتمع، أو كأنه استغلال لفرصة ربح نادرة في أيام محدودة وكأنهم لا يربحون في غيرها أبدا .

إن الشعور بالإنتقام على هذه الطريقة يكاد يطغى على حياتنا، حتى أننا نكاد نقول أن علاقاتنا الإنسانية قد تحولت إلى نوع من (تصفية الحسابات) بين أفراد مجتمع واحد يدينون بدين واحد ويعودون إلى أصل واحد . والحقيقة إن الإنسان ليقف مشدوها حائرا أمام بعض الظواهر الخطيرة التي بلغت الغاية في الإنحطاط الحضاري والتدني

الأخلاقي، بحيث يجد نفسه عاجزا تماما عن تصنيفها في إطار معين أو ضمن منظومة معينة .

نتيجة منطقية

كل ذلك نتيجة منطقية – بل ربما حتمية – لأزمة حضارية وثقافية شاملة أوقعنا فيها تنكرنا القديم المتجدد لديننا وعقيدتنا، والذي تطور فيما بعد ليصبح تنكرا من فئات معينة توالت على قيادتنا وفرضت علينا أن نساير أهواءها ونزواتها ونطبق الأفكار والإيديولوجيات التي نستوردها في كل مرة من أعدائنا . وقد أدى ذلك إلى حدوث صدمات اجتماعية متوالية عرقلت مسيرة أمتنا وأخرتها قرونا عديدة، بل عادت بها على طريق التخلف والإنحطاط خطوات أخرى؛ فتوقفت التنمية الحضارية بصفة شاملة، وتحول الفرد من شخص إجتماعي فعال له تأثيره في الواقع إلى شخص أناني انعزالي يكاد ينطق بلسان الحال قبل لسان المقال : (لا تهمني إلا خاصة نفسي ولا شأن لي بالآخرين) وأصبح همه الوحيد النجاة من المضايقات والمعوقات، ثم الحصول على رغباته ومتطلبات حياته مهما كانت وسيلته إلى ذلك . وتلك قمة التخلف الحضاري والتردي الثقافي الذي بلغه مجتمعنا وجعله يتحول من مجتمع قوّي متماسك يُنظر إليه بعين الهيبة والإحترام، إلى مجتمع ضعيف متهالك يُنظر إليه بعين الإحتقار والإزدراء .

مشاهدة من عمق الازمة

والواقع أنه إذا أردنا عرض مظاهر الأزمة وصورّها الرهيبة في مختلف القطاعات الإجتماعية، إننا لا نعدم أن نجد صورّا فظيعة لما يحدث من فئات إجتماعية أتيح لها أن تطفو على سطح النسيج الإجتماعي وأن يصبح لها تأثيرها البارز فيه .

* فعلى مستوى الأسرة . مثلا .؛ يكاد ينعدم (الحياء) بين الوالدين والأبناء، نتيجة لتأثيرات مختلفة أبرزها التلفزيون والبارابوليك اللذين استطاعا القضاء على هذه القيمة الخيرة ومحو آثارها بالتدريج من النفوس ثم تحويلها – بالتدريج أيضا – إلى (عقدة) يمجها الكبار والصغار ويعتقدون وجوب التحرر منها واطراحها . وليت الأمر توقف عند هذا الحد، بل إنه تطور ليصل إلى درجة غير معقولة أصبحنا معها نقرأ في الجرائد، أو ربما نرى بأعيننا أو نسمع بآذاننا عن جرائم أخلاقية يرتكبها آباء في حق بناتهم، أو شباب مع أخواتهم، وبالرغم من كل ذلك فلا يزال الكثير من الناس لا يصدقون أن وسائل الإعلام هي التي فعلت فعلها الخبيث في عقول الناس وقلوبهم وأوصلتهم إلى هذه الدرجة من الإنحطاط والسفالة الأخلاقية .

* وعلى مستوى العائلات والقرابات؛ لا نكاد نجد أثرا لشيئ اسمه في ديننا (صلة الأرحام) .. هذه القيمة التي حضّ عليها ديننا الحنيف وجعل تركها من الكبائر، أصبحت – اليوم – في خبر كان، ولم يعد بإمكان الإنسان أن يؤديها حتى وإن أراد، لأنه سيجد نفسه غير مرغوب فيه ولا في زيارته أو صلته، مما يضطره إلى عدم التفكير في زيارة أحد من أقاربه حتى لا تواجهه مختلف أنواع الكنايات والإستعارات التي تخدش فؤاده وتدمي إحساسه .

* وإذا انتقلنا إلى جانب آخر؛ ذلك الذي يتعلق بموقع الفقراء والمحرومين في مجتمعنا؛ فإننا مهما حاولنا أن نصف عمق المعاناة وأنواع الآلام التي يعانيها هؤلاء المساكين ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .. إذْ ما عسانا أن نقول فيمن يفترش الأرض ويلتحف السماء ومع ذلك تجده يتعفف عن مد يده للناس بطلب معروفهم أو صدقاتهم . وقد وصل

مجتمعنا في هذا الجانب إلى درجة ظهرت فيها الطبقية بجلاء، وأصبحنا نلاحظ البون الشاسع الذي يفصل الطبقات المترفة عن الطبقات المحرومة؛ تخمة تفوق المعقول في جهة، وحاجة ماسة لا تطاق في جهة ثانية، لقد أضحت هذه المظاهر حقيقة مرة يلاحظها كل الناس، ومع ذلك نجد أنفسنا عاجزين عن فعل شيئ نواسي به محروما، أو أن ندفع به ثريا متخما إلى البذل والعطاء . وأغلب الأثرياء - إلا من رحم الله - مولعون بتقاليد الرياء وبمواطن الشهرة؛ حيث يبذلون الأموال الطائلة من أجل أن تذكر أسماؤهم في المجامع والسجلات والتيليطونات، في حين تجد منهم مَنْ إخوانه وأشقاؤه وأقاربه وحتى والديه يعانون العري والجوع والشقاء .

أسباب

ولست هنا بصدد استعراض الأزمة - فقد سبق لي وأن استعرضت جوانب واسعة منها في مقال مطول عن (علاقاتنا الإنسانية في ضوء الإسلام من التآلف إلى التفكك والتصدع) ونشرته جريدة (العقيدة) في عددها الثاني والثلاثين - بقدر ما أردت أن أبين خطورتها، لا من باب بعث اليأس في النفوس وإغلاق أبواب الأمل أمامها، ولكن من باب استنهاض الهمم وحملها على التفكير في أسباب هذه الأزمة وعللها العميقة، ثم النهوض لتغيير الأوضاع والأحوال بما تيسر من وسائل وإمكانيات .

ويبدو لي - والله أعلم - أن أول أسباب هذه الأزمة؛ هو التصدع الذي أصاب منظومتنا الثقافية واستمر معها حتى أفقدها روحها ومعناها وحتى جعلها تعاني من مرض اجتماعي مزمن كبل نشاطها وأعدم فعاليتها وفكك أوصالها وشرد أبناءها، لدرجة يمكننا معها أن نقول أن أمتنا تعاني اليوم من فقدان كامل لمنظومتها الثقافية .

وثانيها : فشل مشاريع النهوض الثقافي التي حاول أصحابها النهوض بالأمة والإنطلاق بها من جديد ، فرغم التضحيات العظيمة التي قُدِّمت والجهود اللامتناهية التي بذلت، فإنها لم تستطع أن تغير من واقع الأمة شيئا ولا أن توقف مسيرة انحطاطها المستمر . ولعل السّرّ في ذلك إنما يعود إلى عجز هذه المشاريع عن إدراك العلة التي تنخر جسد الأمة وتحول دون تحررها من قيودها الذاتية المزمنة، وكذا إلى العفوية التي طبعت أغلب المشاريع وحالت دون اعتمادها على تخطيط ودراسة دقيقة لأسباب أزمتنا الحضارية .

ثالثها : غياب ما يمكن أن نسميه (علوم الإحياء) عن أداء دورها في تسديد مسيرة الأمة وإعداد أفرادها عقلا وروحا، إعدادا يمكنهم من معرفة واجباتهم تجاه أمتهم، والتي تتعدى مجرد حمل همومها والدفاع عن أرضها وحدودها، إلى العمل على التواصل الدائم مع إخوانه من أبنائها، والسعي المتواصل لإفادتها والترقي بها على درجات النبوغ العلمي والرقي الثقافي والحضاري . وقد غابت هذه العلوم نتيجة غياب الحضارة التي تصنع العلماء وتكونهم، والذين أصبح من الصعب جدا تكوينهم وإعدادهم، حتى عاد ظهور عالم مجدد لأمر الدين في عصر من العصور يعد فلتة نادرة وطفرة عابرة يندر تكرارها واستمرارها .

قصور برامج النهوض

وإذا أعتبرنا أن هذه الأسباب قديمة ولا يمكن معالجتها نظراً لمرور حيزها الزمني من قرون عديدة، فإن ما يحدث اليوم لا يختلف عن سابقه في شيئ؛ فأغلب البرامج والمشاريع المطروحة للنهوض بالأمة

ومحاولة تغيير واقعها إلى ما هو أفضل، لا تزال بعيدة عن أن تمس الجوانب العميقة الدقيقة للأزمة، ولم تضع بعد خطة للمنهج الذي يمكن أن تتبعه في حلها، وكُلٌّ منها اكتفى بالنظر إلى الأمة من جانب واحد دون اعتبار الجوانب الأخرى أو أنها اعتبرتها ولكن بطريقة ثانوية . وقد كان مفروضا في هذه المشاريع أن تُوضع على نسق يقيها من التأثر بمعطيات الواقع ومستجداته ويمكنها من التكيف معها في كل مرة، ولكن الواقع أن هذه المشاريع كانت في كل مرة تخرج عن منطلقاتها وتحيد عن خط أهدافها وغاياتها البعيدة إلى التعلق بأهداف وغايات وهمية قريبة .

وذلك ما كان يؤدي في كل مرة إلى إصطدامها بتحديات قوية تفوق طاقتها فتحد من فعاليتها وتدعها شبحا بلا روح، مما كان ينجر عنه في كل مرة خيبة أمل جماهيرية كبيرة، يتبعها يأس قاتل من كل مشاريع النهوض والإنطلاق الحضاري .

وإذا استثنينا بعض المبادرات التي لا تزال في حاجة ماسة إلى العون المادي والمعنوي، فإن أغلب المشاريع - التي لا تستحق إسم المشاريع في الحقيقة - تظل دون المطلوب، وتبقى في حاجة إلى أن تراجع منطلقاتها وأن تجدد بدقة غاياتها حتى لا تختلط أمامها الأهداف ثم لا تستطيع بعد ذلك أن تحقق منها شيئا . وقد دلت كل التجارب السابقة على أن الأهداف والغايات التي تتوخاها أغلب هذه المشاريع يظل تحقيقها بصفة تغييرية منهجية صحيحة أمرا يكاد يكون مستحيلا في غياب إعداد شامل للفرد إعدادا تربويا منهجيا يستهدف بناء شخصيته بناءا سليما تكون نتيجته إنسان صالح مصلح مستعد لأن يبذل حياته وكل ما يملكه من غال أو نفيس في سبيل المبدأ الذي يؤمن به ويسعى إلى العيش في ظلاله . وذلك - طبعا - يحتاج إلى زمن طويل لا يمكن تحديده بأقل من عدة عقود من السنين، ويقتضي استنفار طاقات الأمة كلها في شكل مؤسسات مؤطرة هادفة تعمل على جميع المستويات؛ الإجتماعية والتربوية والثقافية، ويخطط منهجية دقيقة تراعي ترتيب الأولويات وتقديم الغايات والمصالح حسب أهميتها .

وتبقى التربية الفردية والجماعية والإجتماعية بمختلف أنواعها ومجالاتها وأساليبها؛ السبيل الأسلم والأفضل لتحقيق هذه الأهداف في طريق النهوض بالأمة في انطلاقة حضارية شاملة تتيح لها العودة إلى رئاسة ركب الإنسانية وقيادتها على درب الخير والهدى والصلاح وإنقاذها من التردي الأخلاقي والحضاري الذي وقعت فيه رغم ترقيها المعرفي والرفاهي . ويوم أن يتحقق ذلك الهدف يحق لنا - حينئذ - أن نطمع في منظومة ثقافية متماسكة مظهرها البارز قيمة اجتماعية حضارية رفيعة إسمها (التواصل الإجتماعي) .

حتى لايكون لليأس مكان في حياتنا

بقلم : مسعود فلوسي

من أصعب الأعمال على المرء أن يخوض في حديث لا يرغب في الخوض فيه، خاصة إذا كان هذا الحديث مما يثير الشجون التي تؤلم وتجرح الإحساس، كما هو الشأن بالنسبة للحديث عما نعيشه في حياتنا من مشكلات، إذ من المحزن المبكي أن يقتصر حديث المرء عن أمته في حدود الوصف المأساوي لما تعيشه في مسيرتها من صعوبات وما تواجهه من تحديات، أو أن تتوقف أبحاث وطروحات مثقفي الأمة عن حد تصوير الأزمات المتلاحقة التي تنوء بكلكلها الثقيل عليها يوما بعد آخر، في إشكال دراماتيكية مثيرة للحزن والألم وداعية إلى اليأس وفقدان الأمل وترك العمل ... ولكن ماذا يملك المرء أن يفعل أمام الصدمات المتلاحقة التي يتعرض لها الوعي الفردي والاجتماعي في العالم الإسلامي من داخل صفوفها ومن خارجها على سواء ، إلا أن يبحث عن خلفيات هذه الصدمات الماحقة وعللها الخفية، والتي من دون الوصول إلى معرفتها وبيان تأثيرها ، فإن كل وصفة تقدم للتخفيف من حدتها أو فعاليتها تبقى مجرد وصفة غارقة في السطحية، بعيدة عن تلمس الداء ووصف الدواء، وذلك ما يقتضي منا أن نقف مع ذواتنا مواقف حاسمة شجاعة تتيح لنا أن نكشف العيوب والمساوىء كما هي في حقيقتها دون تغطية أو مجاملة ، ثم ننطلق بعد ذلك في عمل جاد وطموح لإصلاح عيوبنا وتغييرها بنفوسنا .

شؤون وشجون :

إن الحقيقة الساطعة التي نعرفها ونحس بتأثيرها ، والتي لايجوز لنا أن نتهرب منها أو أن نتجاهلها ، هي أن أمتنا المسلمة التي شرفها الله بالوحي وبوأها مكان القيادة والشهادة على الناس، أصبحت اليوم أمة ممزقة الأوصال مبعثرة الأشلاء، لايكاد طرف منها يتصل ببقية الأطراف، وتحقق فيها تحذير رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » ، فقد تقطع العالم الإسلامي شعوبا شتى تسود بينها مشاعر العداء أكثر مما تجمعها مشاعر السلام والإخاء ، وولاء كل منها لقوة عالمية لا تعترف بالله ربا ولا بالإسلام دينا ولا بمحمد رسولا، ولم تكن لترقب في المسلمين إلاّ ولا ذمة، بل إنها تمون وتشجع كل حملة لإبادتهم واستئصال وجودهم، وما يجري اليوم في البوسنة والهرسك من قتل وتعذيب للمسلمين واغتصاب لنسائهم وتشريد لأطفالهم، على مرأى من العالم ومسمع، ودون أن يرفع أحد عقيرته بالتنديد والاستنكار أو أن يتدخل لوقف المأساة، لخير دليل على الإجماع الذي أطبقت عليه أمم الأرض على إختلاف مللها ونحلها وبالرغم من المشكلات والنزاعات القائمة بينها ، على القضاء

على الإسلام وإبادة المسلمين .

ومازاد الطين بلة عجز المسلمين عن تمثيل القيم التي تضمنتها رسالة الإسلام، بل أنهم لم يستطيعوا استيعابها وتفهمها، وهو ما أدى إلى إنفصام فظيع بين فكر المسلم وسلوكه، بين عقيدته وحركته في الحياة، فهو مسلم في اعتقاده ووعيه، ولكنه عمليا لا يتحرك إلا بأفكار أعدائه وأعداء دينه .

ولاغرابة بعد ذلك والحال هذه، أن تفشو الأمراض الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع المسلم وعلى مختلف الأصعدة والمجالات، وحتى أصبحت البلاد الاسلامية مثالا صارخا للانحطاط الأخلاقي والتفكك الاجتماعي، بعد أن كانت مثالا مغريا للطهارة والسلوك ونقاء الفكر، والترابط الوثيق بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وبين نظمه وقطاعاته فيما بين بعضها والبعض الآخر . ولم يعد يثير الاستنكار والاشمئزاز أن تكثر في حياتنا مظاهرالعري والفسق والفجور، وأن تتكرر أعمال النهب والسرقة، وأن تتوالى جرائم القتل والفتك، وأن تصبح الرشوة والمحسوبية وتعدي حرمات الله هي المظاهر التي تطبع المجتمع وتصبغ صورته وحياته .

ولعل من الآفات التي زادت من شلل الأمة وأقعدتها عن النهوض، آفتان خطيرتان لا تكادان تصيبان أمة إلا وقضت عليها بالدمار والزوال ولو بعد حين، إستبداد الحكام، وفسق المترفين .

فأما استبداد الحكام فأمر لايحتاج إلى دليل أو برهان، وهو الذي ساهم في تعطيل الحركة العلمية وقضى على المواهب وقمع ظهورها بكل قوة. وأما فسق المترفين فتلك أشد وأنكى، فإن لفيفا من اللصوص والجهلة وفارغي الرؤوس أتيح لهم في غفلة من أهل العلم والرأي أن يستحوذوا على خيرات العالم الإسلامي وأن يعبثوا فيها تبذيرا وإفسادا دون حسيب ولا رقيب، وأن يملؤوا بها خزائن الكفار وأعداء المسلمين، ليستعملها هؤلاء بعد ذلك في تخريب بيوت المسلمين وهدمها على رؤوسهم وتدمير منشآتهم وإعاقة نموهم ونهوضهم .

كل ذلك إلى جانب تحديات ضخمة في الميدان العلمي والتكنولوجي ، ففي حين يبحث أعداؤنا عن مزيد من وسائل الترفيه والتيسير، لازلنا نبحث نحن عن وسائل بالية جدا نحل بها مشكلاتنا ونحمل بها على الكفاف ، والغريب أن يستعمل أعداؤنا خبرات أبناء أمتنا فيما يشتهون، وأن نحرم نحن من هذه الخبرات والمواهب، لأننا لم نستطع أن نوفر لأصحابها أدنى شروط العمل والبحث والإبداع .. لقد بلغت الحضارة الغربية المعاصرة آمادا بعيدة في الكشوف العلمية والصناعية ، أما نحن فلا زلنا لا نستطيع حتى أن نصنع آلة صغيرة تافهة مضى على تصنيعها في الغرب بضع عشرات من السنين .

وإذا كان لابد لأي مجتمع حتى يسير ويتقدم أن يكون هناك حدا أدنى من الترابط والتواصل بين أجياله، فإن آفة المجتمع المسلم الكبرى هي إنعدام هذا التواصل وانقطاع حلقاته بين أجياله، نتيجة الإستدمار الرهيب الذي تعرضت له الأمة والغزو الثقافي والفكري الشرس الذي ما انفك يكرس لتضليلها وتحييدها عن دينها وقيمها ونظام حياتها .

أرأيت إن التحديات كثيرة وضخمة، ومن شأن عدم الإستعداد لها ومواجهتها بالإيمان والصبر وقوة العزيمة، أن يتيح لها أن تقضي على معنوياتنا وتحطيم نفسياتنا، وتشل حياتنا وحركة أمتنا باليأس

وفقدان الأمل في النهوض وإستكمال المسير.

العيب فينا :

ولكن، مهلا، مابالنا نبكي ونشتكي، ولو أننا عدنا إلى أنفسنا وأعملنا عين العقل والمنطق، لتبين لنا أن سبب المشكلة كلها ينطلق منا نحن المسلمين، من نفوسنا التي عفنتها الأنانية وحب الذات، ومن واقعنا الذي شوهته التقاليد العوجاء ومسالك الرياء والبعد عن الصراط المستقيم، وإذا كان لابد من دليل على ذلك؛ فليسأل كل واحد منا نفسه: ماذا قدم أو أخر لخدمة دينه ونفع إخوانه وأمته ؟ وهل جاهد نفسه لحملها على إتباع الحق والخضوع لحكمه؟ وهل تطابق في عمله وسلوكه مع هدايات الله ورسالاته وسننه في الأنفس والأفاق ؟ وماذا قدم من عمل أو جهد في سبيل حل قضية واحدة من أبسط قضايا أمته ؟.. ليسأل كل منا نفسه ، وأنا واثق أننا جميعا - إلا من رحم الله - سنجد أنفسنا مقصرين كل التقصير في حق ديننا وأمتنا، وحتى في حق أنفسنا إذ لم نفعل شيئا من واجباتنا حتى ننجو من حسابها يوم القيامة، بل إننا كثيرا مانبرر معاصينا وسيئاتنا بأن نلصقها في ديننا وهو منها برئ كل البراءة .

هل أجبنا نداء الله واتبعنا توجيهات رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، القاضية بضرورة الإستقامة على صراط الله المستقيم وتطبيق شرعه في حياتنا الفردية وعلاقاتنا الإجتماعية ونظامنا الثقافي والحضاري، أم أننا ذهبنا نجري وراء سراب المناهج الضالة والأفكارالوضعية السقيمة حتى إذا طبقناها في حياتنا وفرضناها على أمتنا ، عادت علينا بالويل والثبور وعظائم الأمور .

إن الله لايظلم مثقال ذرة، بل هو أكثر رحمة ورأفة بنا منا بأنفسنا ، ولو أنه حاسب أمتنا بما حاسب به الأمم السابقة حين تقترف الأثام العظيمة وتجترح السيئات والمعاصي الكبيرة، لأحرقنا بصواعق ماحقة في الدنيا ، واتبعنا عذابا أشد وأنكى في الآخرة، ولكن رحمته تعالى عزو وجل وسعت كل شئ وغلب حلمه غضبه، وغلبت شفقته ورحتمه نقمته وسخطه .

هنا يعود بنا المقام إلى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » إنه يحدد بدقة موضع الداء الذي أوتينا منه والذي مكن أعداءنا من الإجهاز علينا ، إنه ليس قلة في الرجال أو في المال، ولكنه شئ آخر، إنه أمر يتصل بصميم الذات المسلمة والضمير المسلم، لنتابع بقية الحديثة : «قيل أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم من قلوب أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .. إن الحديث يشير إلى مسببات الوهن الحضاري وعلله العميقة : حب الدنيا الذي يعني التكالب عليها والإقبال على زينتها ومتعها وإستهلاك أشيائها ، وكراهية المو ت الذي يعني فيما يعني غياب فكرة الإحتساب وانعدام روح التضحية في سبيل الله وإيثارالباقية على الفانية، بل إن ذكر المو ت في بعض مراحل الوهن والسقوط يثيرالتشاؤم ويدعو إلى الإشمئزاز .

فالحديث يحدد منبع الإصابة : إنه نفوسنا ، وأخطر الإصابات ماكان لاحقا بنفوسنا وأرواحنا وبنائنا الداخلي الذاتي .

إن مع العسر يسرا :

حقيقة: إن القسوة مع الذات في بعض الأحيان ربما كانت خير دواء لعلاجها مما يعتريها من أسقام ويكبلها من شهوات وأهواء ، وإننا نشعراليوم أكثر من أي وقت مضى أن تحاليل التلميح والإشارة لم تعد تجدي، وإن الصراحة في وصف العلل أصبحت مطلوبة وتقتضيها الوضعية التي ألت إليها أحوالنا وشؤوننا العامة والخاصة .

إن ما نعانيه من تعقيدا في حياتنا وتصاعد في المشكلات والتحديات التي تواجهنا، ماهي في نظرنا إلى وصفات عقابية إلهية تسدى لنا ونواجه بها حتى نراجع أنفسنا ونقلع عن معاصينا ومساوئ نفوسنا، قال تعالى : « أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا، قل هو من عند أنفسكم » [آل عمران/ 165]، وقال " «واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة»، ونفس المعنى أكد عليه النبي عليه الصلاة والسلام حين سألته زوجته السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : «أنهلك وفينا الصالحون ؟ »، قال : «نعم إذا كثرالخبث » [رواه مسلم] ، وذلك ماتوضحه أيضا الممارسة الإسلامية في الواقع التاريخي، فإن المصائب تزداد وتتكاثر كلما ازداد بعد الأمة عن دينها ونسيانها لهدايات ربها وشرائعه في كتابه وسنة رسوله، وتخف تلك المصائب وتأتي مكانها الإنتصارات والمسرات كلما رجعت الأمة إلى ربها وآبت إلى صراطه ومنهاجه .

إننا نعترف ـ لاريب ـ أن بعض الشدائد والمحن التي تعرضت لها الأمة خلال تاريخها كانت إبتلاءات إلهية امتحن فيها المسلمون في إيمانهم وصبرهم، وهي شدائد يعقبها اليسر والنصر حين يثبتون ولاءهم لدينهم وصبرهم في مواجهة أعدائهم، ولكننا لانوافق إطلاقا أن توصف كل المصائب التي حلت بأمتنا بأنها إمتحانات وابتلاءات، وإنما هي نتائج لأعمالنا وماقدمته أيدينا ... ولكن على كل حال، ومع ذلك، فإن أقدار الله الغالبة ورحمته الواسعة، كانت دائما تسعف المسلمين بالنصر في أحلك ساعات الهزيمة والوهن حين تَدلّهِمُّ عليهم الخطوب وتظلم في وجوههم الأفاق، وتبلغ قلوب المسلمين حناجرهم ويدركوا أن لامفر لهم إلا إلى الله، ولا ناصر إلا إياه، هناك يعقب العسر يسر، ويستبدل الهزيمة نصر، ولكن بتوفير الشروط وتقديم الأسباب، وإلا فـ «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» [الرعد/11] .

فعلينا أن نبحث عن علاج أدوائنا في داخلنا الإسلامي، ولا حاجة إلى أن نبحث عنه في الخارج، فإنه مهما كانت الوصفات التي نستوردها، فإنه من المستحيل أن تحقق شيئا، ذلك مايؤكده هدي النبوة واستقراء التاريخ وقراءة الواقع .

الأزمة تلد الهمة :

إن على الذين يفلسفون الهزائم ويبحثون عن مبررات لتصنيفها كمحن وابتلاءات، ألا يستمروا في غيهم وسباتهم، وأن يعترفوا بالحقيقة عارية كماهي دون تزويق أو تنميق، وألا يواصلوا حملات التيئيس التي يشنونها على الأمة ليبثوا في وعيها إستحالة نهوضها ولحاقها بركب الأمم المتقدمة، ونحن لاندعي أن نهوضها ولحاقها بمن سبقها يمكن أن يتم بسهولة كما يفهم البعض، ولكنه يمكن على كل حال، فإن الصعوبات التي تواجهها أمتنا والعقبات التي تقف في وجه إنطلاقتها وإستكمالها لمسيرتها، ينبغي أن نواجهها بتحد مضاد حين نحول هذه الأزمات إلى

دوافع تشحذ فعالياتنا الفكرية والنفسية والإجتماعية والثقافية، ولايجوز أبدا أن نسمح لأنفسنا بأن تفقد قدراتها وتوازنها أمامها وتقع في فخ اليأس والقنوط : «ولاتيأسوا من روح الله، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» فإن اليأس والقنوط من أعمال وصفات الكافرين وحدهم دون المؤمنين : «والذين كفروا بآيات الله ولقائه، أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم» .

إن تجميع طاقات الأمة وتوجيهها في سبيل تكوين رأي عام مسلم ينظر إلى المشكلات والشدائد بعين التحدي أضحى اليوم فريضة ملحة تتطلب العمل والإجتهاد، فإن (طريق الأمم الطبيعي عندما تمر بها أزمة أو تجتاحها محنة أن ترجع إلى قيمها تستوحي منها القوة، وتتعرف منها على مواطن الضعف، وتعود إلى قراءة تاريخها مرة بعد أخرى، قال تعالى : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» [يوسف/111]، وإن استقراء تاريخنا الإسلامي في ساحته الواقعية يؤكد - وفي شكل قانون عام - (أن الشدائد والمحن تصنع الرجال وتبصرالأمة بأعدائها الحقيقيين، وإن اشتداد التحدي يصقل الرجال ويقيم الحضارات ويقضي على الخلايا الشائخة في الأمة وينهي دور الجيل الرخو) ... نجد ذلك في مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مواجهة حروب الردة ومانعي الزكاة، وفي الإنقلاب الحضاري العجيب الذي أحدثه عمر بن عبد العزيز في المجتمع الإسلامي في ظرف حرج كان يسير فيه نحو السقوط، إذ عاد به إلى ما يجب أن يكون عليه من تطابق مع قيم الوحي وهدايات السماء، كما نجده في جهود صلاح الدين ونور الدين محمود وعماد الدين زنكي والظاهر بيبرس وابن تومرت وغيرهم من القادة والعلماء عبرالتاريخ .

وفي حياتنا المعاصرة نماذج رائعة من التحدي للهجمات الشرسة التي تشن ضد أمتنا، تلك التي نجدها بارزة فيما ألقت به الصحوة الإسلامية المعاصرة من أرد ية صبغت بها كافة قطاعات المجتمع المسلم وأثرت في توجيه نظمه وعلاقاته ومظاهره الأفقية والعمودية، ومع ضراوة الحرب التي تشن في داخل العالم الإسلامي ومن خارجه على هذه الصحوة، فإنها تظل تشق مسيرتها بعزم وثبات وسط الأشواك والتحديات، ويكفيها فخرا أنها إستطاعت في سنوات قليلة أن تقضي على ما قد قضى أعداء الإسلام في سبيل تحقيقه وإنجازه قرونا عديدة، إنها قوة الحق حين تنسخ بهرج الباطل وصوره الزائفة، ورحم الله القائل :(إن شجرة الشر تهيج، ولكن شجرة الخير تثمر) ... كما نجد نماذج أخرى للتحدي في تلك الهمة العالية التي إنطلق بها نفر من علماء المسلمين ومفكريهم في مشاريع وأعمال جماعية ذات مستويات عالمية تستحق كل إعجاب وتقدير، من حيث الدقة والتنظيم والمثابرة والإبداع والجهد الدائب للنهوض بالأمة وتعريفها بحقيقتها وإشعارها برسالتها الحضارية العظمية، كل ذلك يبشر بمستقبل مشرق، ويبعث على الأمل في غد أفضل فيه الحق، وتستظل فيه الأرض بظل شريعة السماء .

إلى الأمل والعمل :

إن أمة الشهادة والقيادة لايجوز لها أن تيأس أو تستكين، فإن عليها أن تؤدي وظيفتها في قيادة الأمم وتبليغ رسالة الله إليها، ومهما واجهها من

عقبات وتحديات، فإنها لن تستطيع إعاقتها والقضاء عليها إذا ماتوقف أبناء هذه الأمة على ألا يدعوا لليأس موضعا من حياتهم، وأن يحاربوا عوامل القنوط والوهن في نفوسهم وواقعهم ... وفي سبيل ذلك، ينبغي - ونحن نعمل للنهوض بأمتنا - أن ندرس واقعنا دراسة فاحصة وناقدة تتيح لنا معرفة الأسباب العميقة للإصابات التي لحقت بكياننا بكل صراحة وشجاعة وجرأة، دون السقوط في فخ التنكر للخطأ والتغطية عليه، أو الوقوع في شباك النرجسية وعبادة الكيان الذاتي، تلك التي تعمي البصيرة وتقعد بنا عن إبصار عيوبنا وإصلاح نفوسنا، وذلك مايدعو أيضا إلى ضرورة معرفتنا بنفوسنا، وبالوحي الذي شرفنا الله بحمله وتبليغه من دون الأمم والشعوب، وفيه وحده صلاحنا ونجاحنا وقوتنا، ومنه نستمد سلاحنا في مواجهة أعدائنا الذين لايمكنهم أن يصيبوا أو يؤثروا فينا مابقينا مستمسكين به عاضين عليه بالنواجذ .

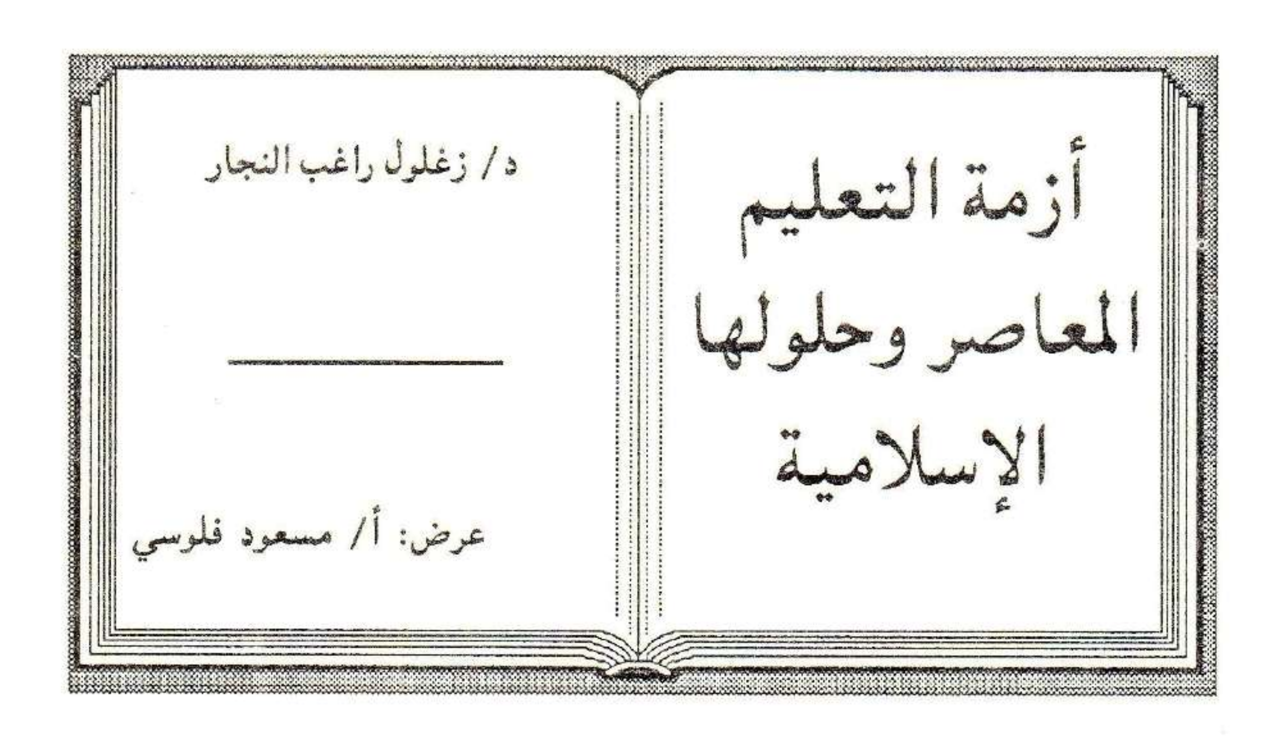
إن الاستسلام لليأس والقنوط سوف لن يجدينا شيئا بقدر ماسيزيد في ضعفنا وقوة أعدائنا، لذلك لابد من محاربته في حياتنا وأن لا ندع ميدانا منها إلا وهزمناه فيه هزيمة ساحقة ... إن علينا أن نتعلم أداء واجباتنا قبل المطالبة بمالنا من حقوق، فما أضر بنا وجرأ أعداءنا علينا إلا تضخم ذواتنا وتقاعسنا عن أداء واجباتنا تجاه ديننا وأمتنا، ثم مغالاتنا في المطالبة بالحقوق التي ندفع ثمنها ولم نجتهد في سبيل تحصيلها .

ولنردد مع الشاعر المسلم الذي يتحرق ألما لمصاب أمته الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله - وهو يقول في إحدى أروع قصائده:

يا أمتي صبرا قليلك كاد يسفر عن صباح
لابد للكابوس أن ينزاح عنا أو يزاح
والليل إن تشتد ظلمته نقول : الفجر لاح
والفجر إن يبزغ فلا نوم وحي على الفلاح

إن صوت الحق والواجب ينادينا ويخاطب فينا نخوة الإسلام وحق العبودية الحقيقية لله عزوجل ، فهل نقوم لنبني حضارة الأمل والعمل، أمل في أن تصلح حال الإنسان وأن يؤوب إلى ربه، وعمل في تبليغه رسالات الله وهداياته، أم أننا سنترك كل ذلك لنقعد ونستكين ؟ ... إنه بلا أمل ومن دون عمل، لن تقوم لنا حضارة ولن تستقيم لنا حياة .





في عصر الانفجار العلمي والمعرفي، وفي زمن تصدر فيه في كل يوم آلاف المقالات والدراسات العلمية والاكاديمية والفكرية في مختلف فنون المعرفة والثقافة الإنسانية، قد يبدو أن الحديث عن كتاب صدر منذ أكثر من سنتين، هو حديث غير ذي فائدة ولا معنى، باعتبار أنه سيكون حديثا تأريخيا عن فكرة عقبتها في ميدانها أفكار كثيرة. ولكن - مع ذلك - يبدو لي أن الكتاب الذي نحن بصدده، من النوع الذي ينبغي قراءته والحديث عنه في كل وقت، خاصة وأنه يعالج مسألة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لنا نحن أبناء العالم الإسلامي الذي نعاني ويلات الغزو الفكري والثقافي، وفي أهم قطاعات المجتمع، ألا وهو قطاع التربية والتعليم، هذا القطاع الذي لا تزال الطرائق والوسائل التربوية التي تطبق فيه، تستند إلى مرجعية ثقافية غريبة ودخيلة، تتنافى مع مرجعيتنا الحضارية وهويتنا الثقافية التي ينبغي أن يكون لها حضورها وتأثيرها.

إن اهتمامنا بهذا الكتاب يرجع أساسا إلى اهتمامنا بالتربية كميدان حساس للتأثير والتوجيه، ذلك أن التربية كما يقول أحد المفكرين المسلمين المعاصرين: (هي الرحم الذي تتخلق فيه الأجنة بكل طاقاتها وقدراتها بشكل سليم، وهي المحضن والمناخ الذي يوفر الشروط لرعاية القابليات وتنمية كل القدرات والطاقات التي توزع وظائف الحياة الاجتماعية واكتشافها وتوجيهها، وتشكل النسيج الاجتماعي للأمة وفق تخطيط تربوي صحيح).

ولما للتربية من أهمية وخطر؛ فقد تضمنت المذهبية الإسلامية أهم المبادىء والقسمات الرئيسية

التي ينبغي أن تقوم عليها التربية السليمة، والطرق والوسائل الصحيحة التي ينبغي استخدامها واتباعها.. وقد توالى العلماء والمربون المسلمون عبر التاريخ على محاولة استكشاف نظرية الإسلام في التربية واستجلاء عناصرها، وتركوا في ذلك اسهامات جمة وأعمال غزيرة، وإن لم تجد من يطورها وينميها بعد ذلك على كل حال.

أما في عصرنا الحاضر فقد ابتليت النظرية التربوية في الإسلام، أو المنهجية الإسلامية في التربية والتعليم، بصنفين من الناس :

أولهما: أولائك الذين درجوا على تناولها تناولا تاريخيا بحتا في الجانب النظري، دون محاولة النفاذ إلى منهجية إسلامية تحكم النظام التربوي المعاصر، حتى أصبح الدارس للنظرية الإسلامية في التربية؛ ينظر اليها وكأنها تراث ساد ثم باد، تماما كما ينظر إلى نظم التربية عند الرومان والفرس والهندوس واليونان وغيرهم من الأمم البائدة، سواء بسواء.

وثانيهما: أولائك الذين حصروا مناهج التربية الإسلامية ومفهومها في النظم التعليمية في الدول الإسلامية المعاصرة؛ بمجموعة الكتب والمقررات التي تشمل نتفا من العلوم الدينية ـ كما يحلو لهم أن يسموها ـ؛ كالقرآن والحديث والفقه والسيرة في الجانب التطبيقي.

وهم يقدمون هذه النتف للطلاب على أنها شحنات إيمانية، لا على أنها علوم لها مناهجها وقواعدها الخاصة.وفي ذلك إخلال صارخ بشمولية التربية الإسلامية ومفهومها الرباني الصحيح.

لقد طغت (العلمنة) على نظامنا التربوي في جانبيه النظري والتطبيقي؛ طغيانا واضحا، لا يخفي على المتأمل الحصيف، حتى أصبح المسلمون ـ والناشئة منهم خصوصا ـ يعتقدون أن للدين علوم خاصة به، وللدنيا علومها الخاصة بها أيضا، ولا علاقة لأحد الجانبين بالاخر، وذلك ما أدى إلى حدوث المفاصلة الكبيرة بين فكرالمسلم وسلوكه، وتفتت الإطار القيمي والاخلاقي الذي حكم الامة الاسلامية ورشد نظمها المختلفة ـ والتربوي منها بالذات ـ عبر التاريخ .

لقد فاتني إلى الآن التعريف بالكتاب وكاتبه؛ أما الكتاب فعنوانه (أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية)، وقد صدر في طبعته الاولى عن المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن سنة (1410هـ ـ 1990م) في إثنتين وخمسين ومائتي صفحة (252ص) من الحجم الصغير.

وأما الكاتب فهو الدكتور زغلول راغب النجار، من مواليد مصر عام 1923م، وحاصل على دكتوراه في الفلسفة من احدى الجامعات البريطانية، وقد كتب أكثر من مائة بحث ومقال منشور، إلى جانب خمسة كتب نشرت في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، ثم انه قد مارس التدريس في الجامعة سنين عديدة مكنته من الاطلاع عن كثب على البرامج التربوية والتعليمية المطبقة في العالم الإسلامي؛ لذلك فهو إنما يصدر في كتابه هذا عن تجربة ميدانية واعية، مما مكنه من أن يبرأ من القوادم التي أخذت على الدراسات الأخرى التي حصرت النظام التربوي الإسلامي في جانبه التاريخي، أو نظرت إليه على أنه

مجرد شحنات عاطفية لا علاقة لها بحركة الإنسان على صعيد المجتمع والواقع.

يتوزع الكتاب على مقدمة وفصلين؛ تناول المؤلف في أولهما (تحليل أزمة التعليم المعاصر)، وفصل الحديث في الثاني عن (نظرية التربية الإسلامية واستراتيجياتها في مواجهة أزمة التعليم المعاصر).

طبيعة أزمة التعليم المعاصر:

يلخص المؤلف أزمة التعليم المعاصر في تزايد الأمية بنوعيها: أمية الجهل بالقراءة والكتابة، وأمية الجهل برسالة الإنسان في هذه الحياة، وكلتا الاميتين آخذ في الازدياد بين الناس وسط عصر تميز بانفجار حقيقي في المعرفة؛ فالاولى يتزايد فيها مجموع عدد الاميين البالغين في العالم بصورة مطردة؛ وذلك نظرا للإنفجار السكاني وللأزمات الاقتصادية التي تحول دون مسايرة التوسع في التعليم للزيادة السكانية (خاصة في الدول النامية). والثانية تكاد تجرف العالم كله؛ نظرا لتصفية نظم التعليم الديني في العالم بصفة عامة، وفي العالم الإسلامي بصفة خاصة، وإحلالها بنظم علمانية لا دينية، أصبحت تدور بالعلمية التربوية وبالمعارف الإنسانية كلها في إطار مادي صرف، وبذلك تأتي جزئية قاصرة منقوصة، لا يمكنها أن تقوم بدورها التربوية أو التعليمي على الوجه الاكمل. ويرى المؤلف أن الذي زاد هذه العلمانية تعمقا ورسوخا:

عملية الفصل المتعمدة بين التعليم الديني وغيره (في الدول التي بقي لها شيء من التعليم الديني) خاصة في العالم الإسلامي، والتضييق على المعاهد الإسلامية حتى تم حصر نشاطها في دور تقليدي يتلخص في المحافظة على التراث ونقله من جيل إلى جيل. وباختصار شديد ـ يقول الدكتور زغلول : فإن أزمة التعليم المعاصر تتجسد في غياب المنهج الاسلامي للتربية،وفي غيابه في الدول الإسلامية بصفة خاصة، والتي كان في إمكانها أن تقدم للعالم النموذج التطبيقي في : كيف تكون التربية ؟

أسباب الأزمة:

ينتقل المؤلف بعد إستعراضه لطبيعة الأزمة إلى تحليل خلفياتها وأسبابها العميقة، ويعرضها في ما يلي:

أولا : أسباب اقتصادية واجتماعية:

وتتمثل في الانفجار السكاني الذي يواجه العالم والاقبال الشديد على دور العلم، وارتفاع تكاليف التعليم، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية التي حالت دون توسع عملية التعليم وتوفيرها للمقبلين عليها، مما أدى إلى تزايد مستمر في نسبة الأميين البالغين، وفي دول العالم الثالث خاصة.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فقد أدى جمود النظم التعليمية وعدم قدرتها على التغير بالسرعة الكافية في مجتمعات تميزت بمعدل هائل في التغير؛ إلى تباين واضح بين تلك النظم ومجتمعاتها، وبالتالي إلى عدم صلاحية خريجيها وفشلهم في الحياة.

ورغم اعتراف المؤلف بخطورة الابعاد المادية للأزمة إلا أنه يرى أن التركيز عليها وحدها ، قد يخرجها من اطارها الصحيح، ولك لأن التحليل المادي يهتم بإقامة المعهد العلمي أكثر من اهتمامه ببناء الشخصية

الإنسانية الذي هو قضية التعليم الأولى.

ثانيا : أسباب تربوية :

وهنا يستعرض المؤلف مجموعة من المآخذ التي أخذت على النظم التربوية المعاصرة، نذكر منها:

1 ـ عدم وجود فلسفة تربوية صحيحة لها، تنعكس في أهداف العملية التربوية وفي مناهجها وأساليب ومختلف طرائقها ومعاييرها، وفي كل أمر من أمورها.

2 ـ اتباعها لنظم مناهج محددة، وفشل المناهج المحددة في تربية النشيء، حيث أن المقررات عادة ما تفتقر إلى الترابط والتناسق فيما بينها.

3 ـ انقطاعها عن الحياة والمجتمعات، مما جعل المعارف التي تنقل للمتعلمين معارف مفككة الاوصال، غير مترابطة، ومقطوعة الصلة بالبيئة.

4 ـ افتقارها الى النظرة الإنسانية الشاملة، فهي تهدف ـ في أفضل صورها ـ إلى تخريج (المواطن الصالح) وليس (الإنسان الصالح)، ومن هنا فهي تقصر أهدافها في أطر قومية أو عنصرية أو ايديولوجية ضيقة محدودة، وتغفل التأكيد على معنى الاخوة الإنسانية والمصير الواحد للبشرية.

ثالثا : فقدان القدوة القيادية الحسنة: حيث أن المتأمل في الوجوه الحاكمة في المجتمعات الإنسانية اليوم؛ يجدانها من أقل الناس حكمة وعلما وصلاحا، وفساد هؤلاء ينعكس على النظم التعليمية ذاتها ،وقد ساعد على فقدان الاسوة الحسنة في نظر المؤلف : تلك القيود التي تفرض على المثقفين من قبل الحكومات المستبدة، وذلك الآثار السيئة الناتجة عن التكتلات السياسية والعقيدية والمذهبية غير الرشيدة، وتكتلات الاقليات الانانية، والتي كثيرا ما تؤدي الى اقصاء الصفوة القيادية واحلاها بالمتملقينو الانتهازيين والوصوليين، والذين يشكلون الخطر الداهم على العملية التربوية.

رابعا : غياب الفهم الصحيح لطبيعة النفس البشرية :

على الرغم من المستوى الرفيع الذي وصل إليه توفير الضرورات الأساسية للمعاهد التعليمية فقد شاع الكثير من الملل واللامبالات وعدم الرغبة في التعليم بين الطلاب، كما أخذ الشعور بالقلق والثورة والميل إلى العنف وغير ذلك من السلوك غير المنضبط يتزايد بصورة مستمرة، ورغم محاولة بعض التربويين تحسين الأسس النفسية للعلمية التربوية واقتراح حلول جديدة على أساس هذه التحليلات إلا أن النتيجة كانت عصبيانا أكثر وثورة أشد وزيادة في عدم الاستقرار. والسبب في ذلك ـ كما يبسط الدكتور زغلول ـ هو أن المنهج العلمي التجريبي والذي استخدم بنجاح في دراسة العالم المادي وظواهره الطبيعية، قد فشل في دراسة الإنسان ومجتمعاتها فكل إنسان هو في الحقيقة كيان قائم بنفسه، ولا يصح تعميم حالة معينة على سائر بني الإنسان، إضافة إلى أن التحليل النفسي الذي يفتقر إلى فهم صحيح لحقيقة الإنسان ووضعه في الكون ولرسالته فيه، لابد أن يأتي تحليلا ناقصا.

خامسا : اسباب أخلاقية :

فالتعليم المعاصر يخلو من المبادىء الخلقية

والقيمية، وفي ذلك تعارض واضح مع فطرة الانسان ودعوة الاي انتشار التحلل وفقدان القيم، وقد أدي هذا الى فقدان القيم اللازمة لحياة اجتماعية إنسانية كريمة، فسادت الأنانية وعم الفساد والظلم، وإذا كان التاريخ قد سجل نماذج كثيرة من ظمل الإنسان لأخيه الإنسان، إلا أن الظلم الواقع في عالمنا المعاصر قد فاق كل الحدود، وذلك لأنه مدعم برصيد هائل من معطيات العلوم البحتة والتطبيقية، وبقدرات تقنية مدمرة.

سادسا : غياب التربية الدينية وتخلي المجتمعات المعاصرة عن الدين:

فالسمة الغالبة على التعليم المعاصر؛ انه تعليم علماني (لاديني)، لا يومن الا بالمدرك المحسوس فقط، وينكر أو يهمل كل ماهو غيبي، ولذلك فقد دار بالعملية التربوية وبمعالجاته للمعطيات المتعلقة بالحياة البشرية، بل المعارف الاسنانية، في حدود الاطر المادية للأشياء فقط، ومن هنا زتت المعارف المتداولة في معاهد العلم قاصرة منقوصة، وجاءت العملية التعليمية عاجزة عن القيام بدورها التربوي.

نظرية التربية الإسلامية .. الحل البديل:

من التحليل السابق لأزمة التعليم المعاصر؛ يتضح أن الازمة تكمن في انطلاق التعليم المعاصر من منطلق غير ايماني، فضلا عن كونه منطلقا علمانيا لا دينيا، وقد تسجد هذا في فلسفته،واهدافه، ومحتواه، ووسائله. وعلى ذلك فإن المخرج من هذه الأزمة. في نظر المؤلف وفي نظرنا نحن أيضا ـ يتلخص في العودة بالتربية الى منهجها الإسلامي، لأنه هو المنهج الرباني المطابق للفترة الإنسانية ... وهنا قد تثار مجموعة من الاسئلة :

ماهي التربية الإسلامية؟ ماهي فلسفتها، وأهدافها، ومحتواها، ووسائلها؟ وهل قامت هذه التربية الإسلامية بدور في تاريخ البشرية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، عقد المؤلف في الفصل الثاني، الذي بسط فيه الحديث عن نظرية التربية الاسلامية، وخلاصة ما ورد في هذا الفصل مايلي:

أولا : تعرف التربية الإسلامية بأنها النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل (إن الدين عند الله الإسلام).

ثانيا : تقوم فلسفة التربية على التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة، وإيجاز هذه الفلسفة في البنود الآتية:

1 ـ الإنسان مستخلف من الله في الارض، وعلى ذلك فهو متصف بالتمكن من التعلم واكتساب المعرفة التي تعينه على القيام بواجب الاستخلاف.

2 ـ الإنسان جزء من الكون المادي، ولكنه يختلف عنه بأنه كيان روحي عاقل.

3 ـ الخير أصيل في الإنسان، والشر طارىء عليه. وقمة الخير فيه، ووسيلته إلى إنمائه هي خضوعه بالعبودية لله وحده.

إلى آخر ذلك من البنود الكثيرة الموضحة لفلسفة التربية الإسلامية والقائمة على تكريم الإنسان واعتبار دوره في المجتمع، وكون العلم شيء أساسي في حياة الإنسان.

ثالثا : تهدف التربية الإسلامية إلى بناء (الإنسان الصالح)الذي هو إنسان يعرف ربه ويدين له بالطاعة والعبادة، ويعرف نفسه ويقدرها حق قدرها، ويعرف رسالته مستخلفا في الارض، يعمر الحياة فيها، في ظل من حكم الله وشريعته وهداه، ويعرف مصيرة بعد هذه الحياة.. وهذا الإنسان هو لبنة المجتمع الصالح الذي تحكمه خشية الله وتقواه، وما يتبع ذلك من قيم وخلق وعدل اجتماعي.

رابعا : أساس المنهجية الإسلامية في التربية هو الإسلام بشموله، وأهم قواعده :

1 - الإيمان الصادق . 2 - العلم النافع.

3 - الأخلاق الفاضلة. 4 - العمل الصالح.

ومن هذه القواعد يتضح خطأ من يعتبرون التربية الإسلامية مساوية لما هو معروف بـ : (التربية الدينية) عند غير المسلمين، والتي تقتصر عادة على الجوانب الوجدانية والعاطفية في الإنسان، دون تطرق إلى عللها العقلية وعلاقاتها بالفكر والسلوك، ومسؤولياتها عن واقع الحياة العملية، وإيجاد الحلول للمشكلات الإنسانية.

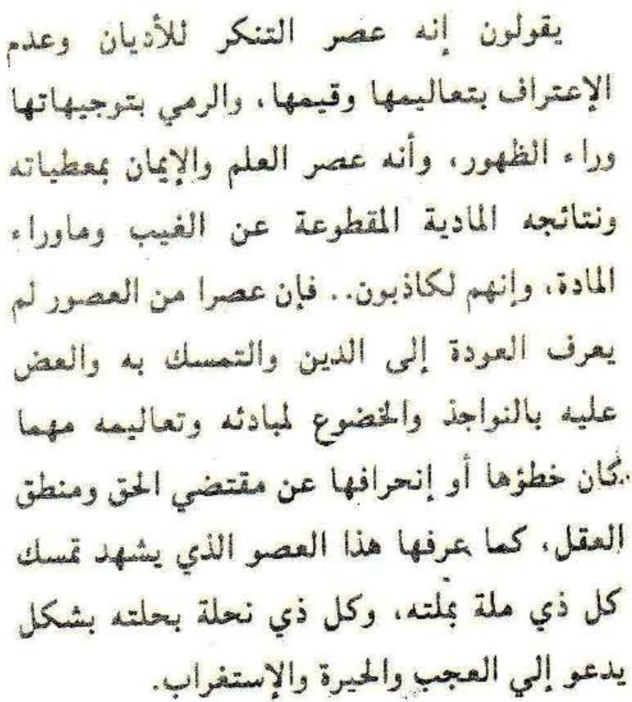
خامسا : تعتمد التربية الإسلامية الأساليب المتضمنة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة: كالتلقين والمحاكاة، واتباع القدوة، والتعليم، والممارسة، والتعود، والعمل، والتكرار، واستعمال المنطق والمحاكاة العقلية، وغيرها... وكذلك تتعدد الوسائل التربية الإسلامية بتعدد أساليبها؛ فهي تستخدم كل وسيلة تمكنها من غرس الايمان في النفوس، وتكوين عاطفة قوية دافعة الى السلوك بموجب ذلك الإيمان.

ينتهي الدكتور زغلول بعد ذلك الى خاتمة ضمنها جملة من الاقتراحات تشمل خطوطا عريضة لما يجب أن تكون عليه استراتيجية التربية الإسلامية اليوم، وهي مقترحات مستفيضة لا يمكن استعراضها في هذه العجالة، وندعو إلى قراءتها في الكتاب نفسه، فذلك أنفع وأجدى.

بقي أن ننتهي نحن أيضا بعد هذا العرض الذي طال نوعا ما إلى القول بأن الدكتور زغلول راغب النجار قد استطاع أن يتفاعل مع التراث التربوي الإسلامي، وأن ينتقل بالبحث التربوي الإسلامي نقلة نوعية، وذلك من خلال محاولته إستجماع معالم نظرية تربوية إسلامية، تصلح بديلا إسلاميا جادا وعمليا للنظريات والمنهجيات التربوية السائدة اليوم في بلاد المسلمين، والتي تنتمي بأصولها الفلسفية وقيمها الإنسانية إلى مذهبيات وأفكار مستوردة بعيدة عن الاصول العقائدية والقيمية المستقرة في الضمير المسلم في العالم الإسلامي .. كما أن هذه الدراسة تمثل المدخل الصحيح والراشد لمعالجة مشكلات التربية والتعليم في ديار الإسلام، لأنها تتجاوز البحث التاريخي إلى طرح الحلول العملية، كما أنها تتجاوز القضايا الفرعية إلى بسط الأصول العامة، ولذلك فإن هذا الكتاب هو - في نظرنا على الأقل - مشروع جاد وطموح، ينتظر الدعم والمساندة والمناصحة والتقويم والإثراء والسعي إلى تطبيقه عمليا، وتلك مهمة تعرف أهلها، وهم يعرفونها جيدا كذلك. ■

الذين تخلوا عن دينهم فتخلى الله عنهم

بقلم / الأستاذ : مسعود فلوسي



يقولون إنه عصر التنكر للأديان وعدم الإعتراف بتعاليمها وقيمها، والرمي بتوجيهاتها وراء الظهور، وأنه عصر العلم والإيمان بمعطياته ونتائجه المادية المقطوعة عن الغيب وماوراء المادة، وإنهم لكاذبون.. فإن عصرا من العصور لم يعرف العودة إلى الدين والتمسك به والعض عليه بالنواجذ والخضوع لمبادئه وتعاليمه مهما كان خطؤها أو إنحرافها عن مقتضي الحق ومنطق العقل، كما عرفها هذا العصر الذي يشهد تمسك كل ذي ملة بملته، وكل ذي نحلة بنحلته بشكل يدعو إلي العجب والحيرة والإستغراب.

وهكذا شهدنا اليهود - وقد عرفوا من قبل بأنهم أكفر الشعوب بالدّين وأجرأها على جحود تعاليم الأنبياء - يؤسسون دولة، ويعلنون خضوعها لحكم التوراة وتعاليمها وأنهم إنما يعيشون لأجل إقامة دولة إسرائل كما ترسمها التوراة، وبناء هيكل سليمان الذي حفظت كتبهم صورته ووصفت قدسيته، ولذلك وجدتهم ينطلقون في العالم يخدمون مبادئهم ويعملون لتحقيق مصالحهم ومصالح دينهم وشعبهم، وراحوا يتنادون للهجرة إلى فلسطين من كل بقاع الدنيا حتى يصنعوا لأنفسهم كيانا وليوجدوا لدولتهم وطنا، يقيمون كل ذلك فوق أشلاء من الدماء وركام من الجثث والجماجم.. والمهم لديهم دائما، أن يحققوا مبتغاهم ويصلوا إلى أهدافهم.

وهكذا أيضا شهدنا الصليبيين وهم يحيون تاريخهم القديم، ويستذكرون ثاراتهم وأمنيات أجدادهم العريقة، وينشرون - في كل أرجاء الدنيا - شبكة رهيبة ضخمة من أجهزة التبشير و التنصير قصد نشر سمومهم المنحرفة التي لم يعد لتعاليم عيسى عليه السلام التي بلغها عن ربه، فيها أي نصيب يذكر، حيث تم التخلي عنها أمام تزايد درجة التحريف والتزييف، الذي توالى على الترويج له الأباء والرهبان والقساوسة.

بل شهدنا الهندوس - وهم أرذل خلق الله سلوكا وأصغرهم أحلاما وعقولا - يحيون ثاراتهم القديمة ضد المسلمين ويشنّون عليهم في كل مرة

حملات فتك وقمع شرسة، تفضي في النهاية ـ عادة ـ إلى ذبح آلاف المسلمين وهدم مساجدهم وانتهاك حرمات بيوتهم واغتصاب نسائهم وتشريد أطفالهم .

والمهم: أنه مامن دين أو مذهب من المذاهب الضالة المنحرفة التي تعج بها المناطق الكثيرة من العالم، إلا ووجد له من يحمله ويتبع تعاليمه ويدافع عنه ويموت في سبيله، ويبذل لأجله النفس والنفيس، دون هوادة، إلا دين الله الحق (الإسلام)، فإنه ماعانى تخليا عن تعاليمه وتضييعا لكتابه وسنة نبيه وتشويها لقيمه وطمسا لروحه وتوجيهاته، مثل مايعانيه في هذا العصر، وماعرف له أتباعا كسلاء مهملين خوارين خائفين يضرون به أكثر مماينفعون، مثل الذي يعرفهم اليوم.

ونتيجة هذه الإشكالية التي يشهدها العصر، فإن المسلمين في مناطق كثيرة من العالم، وخاصة تلك التي يعيشون فيها كأقلية، أو كأكثرية خاضعة لسلطة غير مسلمة، يعانون الإضطهاد والقهر والعسف والقتل والتشريد، دونما رحمة وباستمرار منذ عدة عقود من السنين.

ففي بورما مثلا التي يصل عدد المسلمين بها إلى ثلاثة ملايين نسمة تقريبا، يتعرض هؤلاء لظروف قاسية رهيبة، تتميز بمنعهم من أداء فريضة الحج، وعدم السماح لهم بأداء الصلاة، وقد صودرت منهم الكتب والمنشورات والمجلات الإسلامية، كما صودرت البيوت والعقارات التي وقفوها على المساجد والمدارس الإسلامية، وفي أحيان كثيرة تقوم السلطات البورمية بالإتفاق مع أتباع الديانات المنحرفة كالبوذية والوثنية بحملات رهيبة لحمل المسلمين على ترك دينهم.

وفي كشمير يتعرض المسلمون لأسوأ قمع يشهده العالم في الوقت الحاضر، حيث قامت الحكومة الهندية بخرق كل مواثيق الأمم المتحدة والمجتمعات المتحضرة، إذ قتلت منذ ديسمبر 1989 حوالي 2200 كشميري بأيدي قواتها الأمنية، وفي 8 مايو 1991 فتحت قوات الأمن الهندية نيرانها على 23 ألف كشميري مسلح تجمعوا من أجل تشييع جنازة أربع ضحايا قتلتهم الشرطة، وفي 23 فبراير 1992 قام 800 من الهنود بدخول قرية (كوفان)، وقد استمر ذلك من الساعة 11 مساء وحتى الساعة 9 صباحا من اليوم التالي، وخلالها إحتجزت هذه القوات كل الرجال في حقل جليدي، حيث بقي هؤلاء في الطقس المتجمد وتحت الحراسة، بينما دخلت القوات الهندية إلى البيوت في القرية، وبتهديد السلاح قاموا باغتصاب 23 امرأة، وهذا مشهد واحد من مشاهد عديدة تمارسها الحكومة الهندية ضد المسلمين في كشمير.. وبغرض القضاء على الإسلام في (كشمير) اتخذت السلطات الهندية عدة إجراءات إعتمدت كثيرا على الجانب التربوي والثقافي حيث قامت في هذا الإطار بتغيير المنهج

التعليمي الإسلامي إلى المنهج التعليمي الهندوسي،وتجريد اللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشئ وبين الكتب الإسلامية، وطمس معالم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الجانب الإجتماعي قامت بتحويل المعاهد العلمية إلى أوكار لنشر الفساد الخلقي وتشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس، وإباحة الخمر وترويجها في جميع أنحاد الولاية، وبث الفرقة والخلاف بين المسلمين، واستخدام وسائل الإعلام للأساليب الإباحية والدعوة إلى القومية الهندية.

وغير بعيد من (كشمير)، وخلال ستة أيام فقط من جريمة هدم مسجد (بابري) في مدينة (أيوديا) الهندية، قتل مالايقل عن ألف مسلم برصاص رجال الشرطة من الهندوس، فقد هدم الهندوس المسجد تحت أعين رجال الشرطة الهندوس، الذين إقتصر دورهم على منع وقوع إشتباكات بين المسلمين في المدنية وبين 300 ألف هندوسي إقتحموها ليهدموا مسجد (بابري) ويضعوا مكانه أساسات معبد هندوسي صغير، وقد كان موقف الحكومة الهندية غريبا في مواجهة جريمة هدم المسجد، فقد أعلن زعماء حزب (بهاراتيا جانات) قبل ثلاثة أيام من اقتحام أعضاء حزبهم لمدينة (أيوديا) أنهم قرروا تحدي قرار المحكمة العليا في الهند والذي رفض إدعاءات الهندوس بأن المسجد بني على أنقاض معبد هندوسي، وقالوا إنهم سيزحفون إلى المدينة لهدم المسجد، وبدأ زحفهم الفعلي دون أن تحرك الحكومة الهندية ساكتا، بل إنها انتظرت حتى زحف زهاء 300 ألف هندوسي على المدينة وحاصروا المسجد، ثم بعثت إليهم بما لايزيد على 15 ألف جندي هندوسي.

وفي الواقع؛ لم تكن قضية هدم مسجد (بابري) مقتصرة على صراع بين فئة هندوسية وأخرى مسلمة على معلم أثري، وإنما قال زعماء المسلمين الهنود إنها قضية التعايش بين المسلمين والهندوس في الهند، فقد أثبتت الأحداث التي تلت هدم المسجد أن الهندوس يرفضون قبول عقيدة أخري بينهم تؤمن بإله واحد وتدين بدين سماوي، ذلك أنه حينما غضب المسلمون في أنحاد الهند كلها وتظاهروا ضد بشاعة جريمة الهندوس المتطرفين؛ فوجئوا بأن رجال الشرطة الهنود الذين أوكلت لهم مهمة الحفاظ على أمن مواطني الهند جميعا، يواجهون المتظاهرين المسلمين بالرصاص، بل وقام بعضهم بإخراج المسلمين من منازلهم، واطلقوا عليهم الرصاص تأديبا لهم على غضبتهم لهدم مسجدهم.

وفي آسيا دائما، لايختلف الأمر كثيرا فيما يلاقيه مسلموا طاجكستان واذربيجان وغيرها من الدول الإسلامية المستقلة عن الحكم الشيوعي السوفياتي السابق، حيث يتعرضون للإضطهاد والقهر، ويواجهون أقسى أنواع الإبادة، ويحرمون

من أبسط الحقوق التي تقتضيها الإنسانية والطبيعة البشرية، وقد شكل النزاع حول مقاطعة (ناقورني كاراباخ) جوهر التوتر في المنطقة، والحقيقة أن هناك دوافع دينية أكثر منها جغرافية وإقليمية تكمن وراء مايحدث.

أما في أوربا، فلاتزال محنة البوسنة والهرسك متواصلة، والحملات المتوالية لإبادتهم نهائيا مستمرة وبإصرار وفي ظل تواطؤ دولي رهيب، لايجد له من تفسير غير التنكير العالمي للإسلام وعمل الأمم المتحة على حربه وإبادة حملته وأتباعه، وذلك بتشجيع كل عمل يقوم ضدهم ويسعى إلى إنهاء وجودهم، وفي ظل سكوت إسلامي عام لايمكن تفسيره إلا بالعجز والخور والخوف من الغرب من جهة، والتخلي عن أخوة العقيدة والإيمان وعدم إعتبارها من جهة ثانية.

وأما في إفريقيا، فيتعرض المسلمون في عدة جهات منها إلى مثل مايتعرض له إخوانهم في آسيا وأوربا، ففي ليبيريا مثلا - ومنذ ثلاث سنوات - تعرض ويتعرض المسلمون لهجومات مباغتة تستهدف تدمير مؤسساتهم ومساجدهم ومدارسهم ومصالحهم الإقتصادية، مما أسفر عن مصرع 25 ألف مسلم وعدة آلاف من المفقودين وعشرات الآلاف من الجرحى والمصابين وسبعة آلاف يتيم وأرملة و 700 ألف مشرد تم طردهم كلاجئين إلى الدول المجاورة، غينيا، وسيراليون، وساحل العاج، وغانا، وغيرها، وعلى المستوى المادي، تم تدمير المساجد والمنازل والمؤسسات التعليمية والإقتصادية، وأما على المستوى المعنوي، فقد اغتصبت النساء وانتهكت الأعراض وتم أسر الآ ف منهن، وأجبر آلاف آخرون على تغيير أسمائهم الإسلامية وعلى ترك الدراسة والإمتناع عن أداء الشعائر الإسلامية وتبديد المصاحف والكتب الإسلامية، وكان الهدف النهائي هو تحطيم كرامة الإنسان المسلم تمهيدا لإقتلاعه من هذه الأرض.

مأساة المسلمين في كل مكان - إذن - واحدة، متكررة، متماثلة في فصولها ودوافعها وأهدافها، ومحاولة البحث عن مبررات تفسر مايلاقيه المسلمون ويواجهون به من قمع وتنكيل تفضي إلى الكشف عن خلفيات دينية عصبية، بحتة ينطلق منها أعداء الإسلام في حرب المسلمين، ويمكن ضبط بعض هذه المبررات فيمايلي :

أولا : تصاعد موجة الصحوة الإسلامية، وتخوف أتباع الملل الضالة من تغلبهاعلى مللهم واستحواذها على عقول الناس وقلوبهم، ونظرا إلى أن منظري المذاهب المنحرفة يعرفون أن مواجهة هذه الصحوة بالحوار والحرب الفكرية سوف لن يفضي إلاإلى إستفحال هذه الصحوة واكتسابها لمواقع جديدة، فقد اتخذوا من أسلوبهــا البطش والتنكيل وسيلة إلى إلغاء وجود هذه الصحوة وإقصائها من النفوذ والإنتشار.

ثانيا : أغلب الحملات التي شنت ضد

المسلمين في بقاع كثيرة من العالم يقف وراءها ويعمل على إثارتها وتنفيذها أشخاص من ذوي الإنتماءات الدينية المتعصبة، ممايكشف عن الخلفية الدينية التي تنطلق منها هذه الحملات.

ثالثا : يسيطر المسلمون على مراكز الإقتصاد والتجارة في هذه المناطق، مماجعل بذور الحقد والبغضاء والحسد تتمكن من نفوس أعدائهم، وتدفع بهم إلى الإنقضاض عليهم دونما رحمة ولاشفقة.

وتبقى الخلفية الدينية والتعصب للملل والمذاهب المبرر الأول للمآسي المتلاحقة التي تواجه وجود المسلمين في المناطق الكثيرة التي يعيشون فيها مع أتباع الأديان والنحل الأخرى، وذلك هو السر الكامن وراء تعرض مقدسات المسلمين من مساجد ومراكز علمية دينية للهجوم المتواصل والتخريب المستمر.

ومع ذلك لايزال الكثيرون من المسلمين يعتقدون أن مايتعرض له إخوانهم من قهر وبطش إنما يرجع إلى أسباب جغرافية أو عرقية أو غيرها من التعليلات التي تحاول أن تقصي العامل الديني من المشكلة، وذلك تأثيرا بوسائل الإعلام وتحاليها الغربية من جهة، ومحاولة لتغييب العامل الدنيي حتى لاتحرك وازع الأخوة الإسلامية العامة في نفوس المسلمين من جهة ثانية.

وإذا ذهبنا نستقرئي مواصفات الوضعية العامة لهؤلاء المسلمين في المناطق التي يتوجدون فيها، فسنجد أنها قد ساهمت بقسط بالغ في تمكن أعدائهم من قهرهم بهذه الضراوة، وإنتهاك حرماتهم وأعراضهم ومقدساتهم بهذه البشاعة، حيث نجدهم يعيشون في مناطق سبقتهم إليها ديانات وعقائد مترسخة، كالمسيحية في غرب أوربا، والهندوكية والبوذية، والكونفوشيوسية في الهند وجنوب شرق آسيا، والوثنية والعقائد البدائية كما في ساحل العاج وكينيا وبعض مناطق غرب ووسط إفريقيا، وفي مثل هذه المناطق يتركز النشاط التنصيري وبإمكانيات أكبر، ممايجعل المسلمين - وهم قلة - في وضعية غير آمنة تماما .

ثم إن هؤلاء المسلمين أنفسهم من تركيبات عرقية ومذهبية متباينة، كما في استراليا التي جاءها المسلمون من كل مكان، وتكونت فيها جمعيات على أسس قطرية مثل : اللبنانية، الفلسطينية، المصرية، التركية، الإيرانية، الماليزية ..الخ، وعاشت منعزلة عن بعضها والإتصال بينها ضعيف، ممايجعلها في موقف ضعف، طالما لم يوحدها الإنتماء الإسلامي العام وتقاسمتها الإنتماءات الإقليمية والقطرية الضيقة.

ولعل الخلل الأكثر خطورة في هذه الوضعية التي يعيشها هؤلاء المسلمون، هو الخلل الذاتي الداخلي، والمتمثل في ضيق الأفق والفهم القاصر

للإسلام لدى بعض القيادات إذ يعتبرون أن الإسلام ينحصر في الجوانب الروحية والأخلاقية، ويركزون على العبادات الشعائرية مع إهمال كامل للقضايا الجوهرية ، ففي جنوب إفريقيا ـ مثلا ـ لم يقم المسلمون ـ طيلة ثلاثمائة عام ـ بعرض الإسلام على العناصر غير المسلمة، والأدهى أن شبابهم ـ نتيجة للفهم القاصر ـ إلتحقوا بالفئات السياسية الأخرى، فكانوا خسارة للدعوة، وحتى الدول التي توجد بها هيئات ومنظمات إسلامية كأوغندا والهند، نجد أن كثيرا من جهود المسلمين تسخر في تنظيم المؤتمرات، وكان الأحرى بهذه الهيئات ترشيد وتوجيه الجهود لما هو أنفع، ويتمثل جانب من هذا القصور أيضا في إنعزال المسلمين وقلة تفاعلهم كما في الفلبين، وهو وضع يؤدي إلى قلة التجاوب والإحتكاك ممايجعل المسلمين عنصرا هامشيا في مجتمعهم، وذلك يعيق الدعوة كثيرا.. وفي بعض الحالات نجد أن الولاءات والارتباطات الإقليمية والقبلية من القوة بحيث تقف عقبة في طريق قيام تنظيمات إسلامية فعالة كماهو حادث في معظم دول غرب إفريقيا وخاصة ليبيريا ، وكل ذلك أدى إلى عدم الإستفادة من العناصر البشرية المتاحة محليا ، وبطبيعة الحال، لاتوجد أيضا إستفادة مؤثرة من القدر المتاح من الإمكانات المادية بسبب الفهم القاصر للإسلام .

وتشير بعض التقارير إلى أن هناك مشكلات ذاتية كثيرة تعاني منها الإقليات الإسلامية في العالم، ومنها الإنقطاع عن الوطن الأم، وتعدد الولاءات السياسية ونقل مشكلات المجتمعات الإسلامية إلى أرض المهجر، وغياب الزعامات السياسية والدينية التي يمكن أن يلتف حولها الجميع، ووجود خلافات تنظيمية ومذهبية بين أفراد هذه الأقليات.

ولعل ممازاد من حدة هذه الوضعية أن الدول الإسلامية تتجاهل أوضاع هؤلاء المسلمين، ولاتعمل على إرساء الدعاة إليهم لتوعيتهم وتعليمهم الإسلام الصحيح وتكتفي ـ إن هي فعلت ـ بإرسال بعض المساعدات الغذائية والمادية التي لاتغني شيئا أمام شراسة أعمال التنصير التي تستند إلى إمكانيات هائلة، حيث تقدم المساعدات والغذاء والكساء والدواء للمسلمين الذين هم بحاجة ماسة إليه، والثمن دائما هو محاولة أخذ أبنائهم إلى مدارس الإرساليات حيث يكوّنون ليخدموا فيمابعد جهود الصليبية المعاصرة وأهدافها الخبيثة، وليكونوا حربا على دينهم وأصولهم الثقافية والحضارية.

وإنه ليؤسفنا أن نقر حقيقة مؤلمة لامناص من الإعتراف بُها، وهي أننا نحن المسلمين قد تخلينا عن ديننا ولم تعد تهمنا خدمته ومصلحته بقدر ماتهمنا مصالحنا الضيقة وأهدافنا الفردية أو الفئوية المحدودة، ففي حين يخم اليهود والصليبيون وكل ذي عقيدة ـ مهما كانت ضالة

منحرفة ـ أديانهم ومذاهبهم بكل مايملكون من طاقة ووسع، نظل نحن المسلمين نجتر خلافات الماضي ونستحضر معاركه في حاضرنا، ممايجعلنا عاجزين عن إبصار مواضع أرجلنا والإعداد لمستقبلنا،، وفي حين تتكاثف جهود الأعداء لإبادة المسلمين والحد من وجود الإسلام على ظهر الأرض، يظل المسلمون يتنازعون على أشياء تافهة لاتسمن ولاتغني، ثم بعد ذلك يحملون أوزارهم للأقدار، ويدعون أنهم يتعرضون للإبتلاء والإمتحان.

إن معضلة المسلمين الأساسية ومشكلتهم الرئيسية التي نخرت كيانهم وحطمت قوتهم وأغرت أعداءهم بهم، هي (التنازع) و (الفرقة) لأسباب واهية لايستسيغها عقل سليم ولايتقبلها منطق مستقيم، وإني لا أمل من التذكير بحديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي يحدد منبع الإصابة التي نفذ منها أعداؤنا، ويبين بيت الداء في كل ماواجه ويواجه أمتنا، ذلك الحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه على سبيل إستشراف المستقبل، إنطلاقا من معرفة دقيقة بمواطن الضعف في النفس البشرية : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» قيل : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن» قيل: وماالوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم الموض الذي يمكن أن ينفذ منه الضعف والهوان إلى نفوس المسلمين وكيانهم الجماعي، لذلك أوصاهم بسد هذا المنفذ بالارتفاع عما يؤدي إلى فتحه، ألا وهو التنازع والتهارش والتهالك على الدنيا ومغرياتها، ولكنهم لم يأخذوا ولم يعملوا بالنصيحة، واختاروا أن يسيروا في خط مناقض تماما لما تقتضيه توجيهات الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

بكلمة واحدة : لقد تخلينا عن ديننا فتخلى الله عنا وتركنا إلى أنفسنا العاجزة فسقطنا، لأجل ذلك، إذا أردنا أن نخرج من هذه الوهدة العميقة التي تردينا إليها وأن يتغير واقعنا من الضعف إلي القوة ومن التخلف إلى التقدم، فعلينا أن نعود إلى ربنا ونتمسك بكتابه وسنة نبيه ونعمل بما يتضمنانه من أحكام وتوجيهات، ونسير في الحياة ووفق مايوحيان به من قيم وتعاليم، فذلك وحده طريق النصر، وسبيل الإرتفاع عن واقع السقوط والهزيمة. ■

■ـــــــ للموضوع مراجع ـ

الرواسي

دفاع عن ثوابت الأمة

تربوية ثقافية تصدرها

جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي

المدير المشرف /	ثمن النسخة : 30 دج
عبد الحميد خزار	**الإشتراك للأفراد**
	ثلاثة أعداد : 75 دج
	ستة أعداد : 150 دج
أسرة التحرير/	**للهيئات**
أ / حسين زيدان	ثلاثة أعداد : 90 دج
أ / عمار ناصري	ستة أعداد : 180 دج
أ / أحمد رحماني	ترسل الإشتراك بحوالة بريدية وبإسم الجمعية على العنوان التالي :
أ / علي براجل	ص . ب : R.P - 406 باتنة 05000 الجزائر
أ / مسعود فلوسي	

